الفصل الثاني

التحليل النظري لمفهوم الاغتراب

الفصل الثاني

التحليل النظري لمفهوم الاغتراب

أن هذا الحصار الرافض للإعلان عن ذاته أنه حصار، والمنتشر في مجالات الحياة كافة، والمقتحم بعضها أحياناً دون استئذان، هو ذلك الذي جسدته العولمة بأهدافها وآلياتها الشرسة، وكان دوماً ومازال ينهض على حساب العالم الثالث بدوله النامية، يستهدف ثرواتها، ويعمق التفاوت الطبقي فيها بصوره المتوحشة على طريق الإفقار الشديد الذي أضاف فقراً وجهلاً لغالبية سكان تلك الدول، وازداد الأمر سوءاً في ظل هذه العولمة التي استهدفت **تقليص دور الدولة القومية وأفقدتها سيطرتها على نشاطها الاقتصادي**، مما انعكس سلباً على مدى ونوعية الخدمات والرعاية الاجتماعية للمواطنين، وساهم في تعجيز الدولة القومية عن أداء وظيفتها الحقيقة إزاء مواطنيها في مواجهة تلك المشكلات، ناهيك عما يروج له القطب الأمريكي الأوحد لليبرالية الغربية العلمانية أسلوباً وفلسفة ويريد لها أن تسود وتسيطر بقيمها الشديدة التحرر في العالم كله، ويسخر لها في سبيل ذلك الآليات الرأسمالية، وخاصة تلك التي تدار عن بعد مستفيداً من تقنيات الاتصالات والمعلومات المتطورة، إضافة إلى ما يعتلي الساحة السياسية الدولية، ومحاولة احتواء مؤسساتها إن لم يكن تهميشها

والتعامل بإزدواجية في المعايير، والتي هي غالباً ضد مصلحة عالمنا العربي والإسلامي.

لقد استهدف هذا النظام العولمي الجديد- من بين ما استهدف -الهوية، وذلك عبر تفتيت الدولة القومية وتشجيع الأقليات والمذهبيات، وما قانون الحريات الدينية الذي أصدره الكونجرس الأمريكي إلا واحداً من أهم الآليات التي تستهدف التدخل في الشئون الداخلية للدول، وأن كان تحت مسميات خادعة براقة، مما أجبر الهوية على الاتجاه نحو منحى يتمحور حول الانقسامات الأيديولوجية أو العرقية أو السلالية أو الدينية/المذهبية، لأن هذا النظام العولمي يرفض الحدود الجغرافية للأوطان ويشجع علي العودة للأصول والجذور لتفكيك الدولة القومية، وذلك لإفساح الطريق لقوى الهيمنة عبر تلك الرأسمالية الشرسة لبسط نفوذها وهيمنتها على مقدرات الدولة القومية، وهذا بالتالي يدفع الأقليات والقوميات إلى الاحتماء بهوياتها خوفاً من التلاشي أو الذوبان في الآخر المغاير، ولذا فإنه في الوقت الذي يروُج فيه للعولمة يزداد انفصال القوميات العرقية والطوائف المذهبية في محاولة لإثبت وجودها لتصبح كياناً مستقلاً مرتكزاً على تراثه النابع من ثقافته.

ولذلك نجد أنه كلما سعت العولمة للإحتواء، علت الأصوات بالحفاظ على الأقليات والقوميات بخصوصياتها الثقافية رافضة هذا الإحتواء من الآخر المغاير، وبذلك تعظّم العولمة الحركات التعصبية وتشجع على التصنيف العرقي والهوية العرقية، وتتخذ من المفاضلة العرقية معياراً وأساساً في نظرتها العنصرية، وتجاهلت أن الاختلاف بين البشر إنما هو اختلاف ثقافي وليس

عرقي، وأن تعظيم مثل هذه التفرقة على أساس عرقي إنما يعني تناحر البشر، ويمثل خطراً يهدد الأمن الاجتماعي للبشر سواء على الصعيد العالمي أو صعيد الدولة القومية لأنه ينال من الهوية ويسبب الاغتراب الذاتي وأيضاً الاجتماعي.

وهكذا فالعولمة تمثل الآلية التي تدار بتخطيط محكم لصالح الرأسمالية، تلك التي بدورها تضخم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول النامية، مما زاد من الأعباء الموكولة للدولة العاجزة، فتنال من مدى وكيفية حالات التفاعل الاجتماعي وكذلك مدى الولاء والانتماء بين مواطنيها الذين أصبح أغلبهم عاجزين عن إشباع حاجاتهم الأساسية، مما أثر سلباً على العديد من المفاهيم الشخصية والمجتمعية والتي من أهمها: [مفهوم الهوية، مفهوم تحقيق الذات، مفهوم الولاء والانتماء...وغيرها] وجميعها مفاهيم تتسبب في اهتزاز الهوية وتدهورها، وتفشي الاغتراب هروباً وانعزالاً عن العالم المحيط بمشكلاته التي كم نالت من الفرد الذي بدوره وقف أمامها عاجزاً مغترباً عن نفسه وأيضاً مضطرباً وسلبياً بل ومنعزلاً عن مجتمعه.

ورغم أن الغرب يصدر لنا تلك المفاهيم والأفكار، إلا أنه يتجنبها في بلاده، والدليل على ذلك قيام الاتحاد الأوروبي بين دوله "الذي استهدف دمج المؤسسات السياسية والاقتصادية لدول أوروبا دون المساس بالهويات الثقافية لها، انطلاقاً من سعي أوروبا للحفاظ على ما تتسم به مـــن تنوع ثقافي، وذلك منذ المرحلة التي تلت ظهور القوميات والتي تلت المرحلة الصناعية، وذلك مـــن خلال القومية الجديدة، تلك التي بدورها ترتكز على التماسك الاجتماعي الذي هو مستقلاً عن الأيديولوجيات السياسية"(١٥٣: ٦٦٢)

ولعل هذا أحرى بنا أن نعي الأمور حولنا بعين واعية، نحن شعوب العالم الثالث، الذين قاسينا ولا نزال نقاسي عمليات التشويه والمسخ والطمس الثقافية، ومحاولات الإدماج والتغريب ونستهدف حتى اليوم، وأمامنا بلادنا على الساحة تعاني بداية من فلسطين إلى أفغانستان إلى العراق، والصومال، والسودان وغيرها من دولنا العربية والإسلامية حتى خارج الوطن العربي حيث الاستغلال والاحتلال وشتى أنواع الهيمنة، أنه أحرى بنا "**أن نجتهد في الحفاظ على شخصياتنا وملامحنا الذاتية والإيمان بأن الأخذ بأسباب العصر** واكتساب العقلية العلمية، واعتماد التقنيات والتكنولوجيا لا يتنافى مع التشبث بذواتنا وما يستلزم ذلك من تنمية ثقافتنا وإدراج المكاسب العلمية وأدوات العمل التقنية في سياقها الإنساني، وإخضاعها إلى سلم القيم الحضارية والأخلاقية القومية"(٨٧: ٣) **فإن ذلك قد يحول دون السقوط في الاغتراب Alienation** ذاك المفهوم السلبي الذي ينال بقسوة من الذات الفردية وأيضاً الذات المجتمعية فهو لا يقل خطورة عن أعتى الأسلحة الفتاكة في أثاره، مما يدفعنا للبحث بجدية في كيفية التخلص من هذا المفهوم وقهره، ضماناً لسلامة النفس الإنسانية في حياة آمنة مطمئنة منتجة وفاعلة، وأيضاً مجتمع متماسك متفاعل متطور، وهذا أدعى إلى التعرف بداية على ماهية هذا المفهوم (الاغتراب)، وما هي أهم أبعاده؟ وما العوامل التي تؤدي إلى وجوده؟ وما أهم مظاهره؟ وقد يكون لنا معه وقفة أخرى في الفصل الثالث حيث نتناول هذا المفهوم في بعض الاتجاهات والفلسفات الغربية المعاصرة، وأيضاً كيف يقهر الإسلام بقيمة الجوهرية هذا المفهوم السلبي المدمر.

أولاً: ماهية الاغتراب :

للوقوف على حقيقة هذا المفهوم لابد من تناوله بالتعريف لغة واصطلاحاً وكذلك معنى وتحليلاً.

"إن مصطلح الاغتراب هو الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية Alienation وهي ترجع إلى أصل لاتيني هو Alienatio المستمد من الفعل اللاتيني Alienatare" المشتق من كلمة Alienus أي الأنتماء إلى الأخر والتعلق به " (١٤٧: ١٠)

ويشير قاموس العلوم الاجتماعية إلى الاغتراب على أنه "الانفصال بين الشخصية ككل ، وبين نواحي هامة ذات اتصال بالعالم الخارجي" (١١٥: ١٩)

ويعتبر الاغتراب المقابل السلبي للإنتماء والولاء، "ووجوده يؤكد مدى زيف الوعي لدى الأفراد، وأزمة هويتهم، حيث يعلن عن مدى افتقار وضعف العلاقات خاصة عندما تكون هذه العلاقات متوقعة، ومعه تبدو الأشخاص والمواقف الشائعة غريبة" (١١٨: ٢٢) فالاغتراب يشير إلى "الدرجة التي يشعر فيها الفرد أنه يفتقد إلى القوى التي تمكنه من إنجاز دوره في مواقف بعينها في الحياة، ومعه يشعر الفرد بافتقاد المعنى والهدف، ويهرب إلى العزلة، وربما في حالة مقدرة الفرد على تغيير ظروفه لاستعادة ذاته، تصبح أفعاله ذات معنى ويتجنب العزلة" (٦٢: ٩١)

وهناك من عرّف الاغتراب على أنه "حالة الفرد السيكولوجية، ووصف الشخص المغترب بأنه هو ذاك الشخص الذي يشعر بأنه غريب عن مجتمعه وعن ثقافته التي يتمثلها المجتمع، ولأن الفرد المغترب الآن ليس بالضرورة أن

يكون مغترباً من قبل، أو على الأقل لم يدرك أنه مغترب الآن، ومع الاغتراب يشعر الفرد بأنه غريب عن نفسه وعن مجتمعه وعن ثقافته، فمن أبعاد الاغتراب - كما حددها دين Dean (الشعور بالعجز Powerless، اللامعيارية Normalness less، العزلة الاجتماعية Social Isolation)"(١١٣: ٨٤٩)

فالاغتراب هو "إخفاء للعجز، وتبرير للقصور وهروب من مواجهة الحقيقة والواقع، وإما أن يكون تعبيراً عن معارضة ورفض لم هو شائع أو أن يكون موقفاً انفصالياً، واعتزالاً يتعين اتخاذه تمهيداً للكشف عن الحقيقة" (٩٢: ٤٦)

وهناك مَنْ يعرّف الاغتراب بأنه "شعور الفرد بالضياع والعزلة وعدم الفعالية والوحدة، والتضاؤل وعدم الانتماء، وينتج عنه سلوك مدمر تجاه الذات وأيضاً تجاه المجتمع، وفي النهاية يصبح سلوك الفرد انسحابي فصامي عن المجتمع بعامة، ومن الأفراد الآخرين الذين يتعامل معهم، ثم من الذات في النهاية"(٥٨: ٩٧)

"كذلك يؤكد الاغتراب على وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به، والمحبطة له بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء، والسخط والقلق، وما يصاحب ذلك من سلوك، أو الشعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات، والعزلة الاجتماعية وما يصاحب ذلك من أعراض إكلينيكية"(٩)

ومفهوم الاغتراب مفهوماً يكتنفه كثير من الغموض لثراء محتواه، ولتعدد مجالات استخدامه، ولتنوع الأطر والمنطلقات النظرية لمَنْ يتحدثون عنه، إذ يكاد يمثل ميدان بحث مشترك لكثير من العلوم الإنسانية التي تتخذ من

الإنسان محوراً لها، فقد استخدمه علماء اللاهوت، والفلسفة، والاجتماع، والتربية وعلم النفس، والطب النفسي، والأدباء بمختلف أدواتهم التعبيرية من شعر، ونثر، وقصة ، وتعددت معاني الاغتراب وكثرت تعريفاته نتيجة لتعدد مجالات استخدامه تلك" (٧٣: ٢٤)

"فالاغتراب خاصية مميزة للإنسان، قديمة ومتأصلة في وجوده وأن اغترابه يعني قدرته على الانفصال عن وجوده الإنساني من حيث هو هوية فريدة في نوعها لا تتكرر، ومن حيث هو ثراء إنساني، ومن حيث هو امكانية ابتكارية لها حضورها التعبيري من خلال كل فعل جديد، ومن حيث هو وجود يكمن في معنى وجوده، باحثاً دوماً عما يعطي حياته معنى وهدفاً وقيمة، وهو مفهوم ثري في محتواه، متعدد من حيث زوايا رؤيته(نفسياً واجتماعياً وفلسفياً ولاهوتيا)" (٧٣ :١٩٢)

"ولقد استخدم الاغتراب لوصف كثير من الإضطرابات النفس اجتماعية كحالات: القلق، الإحساس بفقدان الهوية، اختلال الشخصية، الشعور بالعجز اللاجدوى، اللامبالاة، الإحساس بعدم الثقة، التشيؤ، وأن الحياة تمضى على نحو لا إنساني، وأنها عبث غير معقول يمضى بالإنسان نحو الفراغ الوجودي، الملل من الحياة نفسها، الشعور بالتحلل من القيم، رفض المعايير الاجتماعية. الانسحاب من المجتمع والالتصاق بالذات في كنف عزله اجتماعية أو نفسية، أو هو خبرة يرى فيها الإنسان نفسه كما لو كانت غريبة ومنفصلة عنه" (٧٤: ٢٦)

وبهذا يمكن اعتبار الاغتراب "مشكلة نفسية اجتماعية تسفر عن اضطرابات نفسية متنوعة تؤكد في إجمالها فقدان الذات، اليأس، الأنومي

Anomie، التبلد في المشاعر، الوحدة، العجز، العزلة، فقدان القيم، القلق والتوتر"(٣٢: ٢٤)

ويعتبر "هيجل" أول من استخدم مصطلح الاغتراب Alienation كمصطلح فني، واصبح بذلك مألوفاً في الفلسفة المثالية الألمانية"(٧٩: ٢٠) حيث أنه أول من حاول إبراز التلاحم الداخلي في تاريخ المجتمع، وقد كانت تلك نقطة تحول وفاتحة عصر جديد في مفهوم التاريخ ويمثل المقدمة النظرية المباشرة للنظرية الجديدة، ولهذا تلتقي المادية التاريخية مع المنهج الجدلي حتى ولو كان "هيجل" يستخدمه من منظور الفكر المحض، حيث دفعه طموحه إلى إقامة نسق فكري مداه التاريخ الإنساني كله ليحل كل التناقضات، وكأن التاريخ سيتوقف عن العمل إذا لا يتبقى شئ يمارس فيه الجدل الذي هو علامة الحركة ومظهر الحياة، واعتبر "هيجل" العمل روحياً، وأن تجاوز الاغتراب يأتي عن طريق الحب والدين أو الفلسفة، وفي النهاية عن طريق المجتمع (١٠١: ١١١، ١١٢)

ويعتبر "هيجل" أول مفكر يستخدم في مؤلفاته كلها مصطلح (الاغتراب) على نحو منهجي، وأصبح يطلق عن قصد، وكان الاغتراب عند "هيجل" يعني في الأغلب فقدان الحرية والتلقائية الحيوية وغير ذلك من مظاهر سلبية تتعارض مع الحرية وتحول دون أن يكون الإنسان واحداً مع نفسه ومع العالم، أي انفصال الإنسان عن ذاته وأفعاله والآخرين انفصالاً تبدو معه هذه الأمور كلها وكأنها غريبة عنه وعدواً له، أي أن يكون خارج نفسه حيث عدم امتلاك الإنسان لذاته، وصياغتها واستلابها على نحو يؤدي إلى الوقوع في العبودية بصنوفها المختلفة(٣٢: ٣١- ٣٢)

إن "هيجل" قد استخدم مصطلح الاغتراب بمعنيين، إحداهما: الانفصال، والآخر: التسليم، فيري أن الانفصال يشير إلى فقدان المغترب للوحدة مع البيئة الاجتماعية، وعدم توافق الفرد مع مجتمعة بمختلف متغيرات بيئته، وأنه إذا ما أراد الإنسان التطابق مع بيئته فلابد أن يتخلى عن ذاته وهنا يتحقق معنى التسليم الذي يؤكد تخلي الفرد عن خصوصياته(٣١: ٥٩)

"وإن كان "هيجل" هو أول من رفع مصطلح الاغتراب إلى مرتبة الأهمية الفلسفية، فإن "كارل ماركس" هو أول من تناول مفهوم الاغتراب باعتباره ظاهرة اجتماعية تاريخية من حيث نشأتها وتطورها، وباعتباره مفهوماً علمانياً مادياً، حيث رأي أن جذوره تكمن في العمل المغترب الذي يعد من وجهة نظره أساساً لكل أشكال الاغتراب الاجتماعية أو السياسية أو الأيديولوجية في المجتمع الطبقي، وقد ميز"ماركس" بين عدة مظاهر للاغتراب منها: اغتراب الإنسان عن عمله والأشياء المنتجة، ومنها اغترابه عن ذاته ووجوده ككائن نوعي، ومنها أيضاً اغترابه عن المجتمع"(٩٨) "فقد حول "ماركس" مصطلح الاغتراب إلى أداة للتفسير في الاستقصاءات السوسيولوجية، ومع أن "ماركس" استخدم مفهوم الاغتراب في تحليلاته الدينية والسياسية، إلا أن تركيزه عليه كان تحليلية للعمل، وفي مناقشة تقسيمه، وهو الذي أعطاه قيمته وأدى إلى انتشاره في العلوم الاجتماعية بوجه عام"(٧٩: ٢٠)

"ويشير الاغتراب إلى تحول إنتاج النشاط الإنساني وقدراته إلى شيء مستقل عنه، حيث ينفصل الفرد عن نفسه وعمله ويصبح غريباً حتى يكاد يفقد إنسانيته كلها، وقد يأخذ الاغتراب صوراً شتى، منها ما هو على مستوى الإنسان

نفسه، ومنها ما هو على مستوى التنظيم الإنتاجي، ومنها ما هو على مستوى النسق الاجتماعي ككل، ويؤكد "ماركس" على وجود علاقة ارتباطية جوهرية بين الاغتراب والملكية الخاصة لهذا فإن نظام العلاقات الرأسمالية يتميز بظاهرة اغتراب العمل لأسباب موضوعية كافية في علاقات الإنتاج، ونسق السيادة الطبقي، مما يؤدي إلى انفصالهم عن العمل ونتاجه، كما يؤدي إلى اغترابهم عن ذواتهم فيسبب لديهم شعوراً بالبؤس وعدم الرضا، فلا يستطيع أن ينمي طاقاته الفيزيقية أو العقلية بحرية، وقد لا يجد ذاته إلا في وقت فراغه" (١١: ١٨)

"إن الإنسان مع الاغتراب بمعناه هذا، يصبح مغترباً عن نفسه وعن انتاجه وعمله، ويشعر بفقدان وجوده كإنسان قد حرم التمتع بما لديه من صفات بشرية، كما أنه يشعر باغترابه عن اخوانه من البشر، نتيجة إحساسه بفقدان هويته الإنسانية، ومعنى أن يفقد هويته أنه تحول إلى شئ، وبالتالي حرم أن يتمتع بحقوقه الأساسية" (٩٣: ٢٤)

وأن كان ذلك كذلك فإن الاغتراب "نمط من التجربة يعيش فيه الإنسان غريباً عن نفسه، ولم يعد يعيش نفسه كمركز لعالمه، وكخالق لأفعاله، بل أن أفعاله ونتائجها قد أصبحت هي أسياده الذين عليه أن يطيعهم إلى درجة قد تصل إلى حد العبادة، يعيش كما الأشياء، لا يتعلق بذاته وبالعالم الخارجي على نحو مثمر، فقد خلق عالماً من الأشياء صنعها بنفسه ثم هي تسيدت عليه بل وتحكمت فيه، وكلما زادت قوتها زاد شعوره بنفسه ككائن بشري عاجزاً عن أن يواجه نفسه بقواه المتجسدة في أشياء صنعها بنفسه واغترب عنها". (٩٧: ١٤٩)

وهكذا مع الاغتراب يصبح الإنسان كالآلة ليس صانعاً لأفعاله وغير متحكم فيها، وإنما هي التي تتحكم فيه ويصبح خاضعاً لها، ولأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً فإن يهرب من نفسه المغتربة إلى كيان ما ينتمي إليه، وقد يكون هذا الكيان سلطة سياسة، أو اجتماعية أو سلطة العرف والقوانين والتقاليد، باحثاً عن الانتماء خوفاً من الوحدة والعزلة، وقد تكون هذه السلطة مغتربة أيضاً، وتستطيع بأساليبها المقنعة أن تجعله يهرب من نفسه إليها، وهي بدورها قد تسلبه الفكر فيفقد ذاته وفرديته ليستطيع أن يعيش في كنف هذه السلطة دون شعوره بالوحدة والقلق، وهنا يصبح مغترباً وربما داخل كيان هو أيضاً مغترب(٦٢: ٩٤)

ويقوم الاغتراب على حث الطاقة على الفعل نتيجة للشعور بإنعدام القوة والعجز عن ممارسة دور مؤثر في ظل ممارسات بلامعنى، وقد يكون الاغتراب عن أدوار اجتماعية، أو عن جماعة سواء كبيرة أو صغيرة، وهو ليس صراعاً داخلياً بين انتماء في دور التشكيل أو رغبتين متصارعتين في الانتماء لهذا الجانب أو ذاك، إنه (لا إنتماء)، (ولا رغبة في الانتماء) إنه انعدام معنى كل الاختيارات، ورفض لكل البدائل، ورؤية قاتمة لكل شيء... وذلك عكس "الأنومي Anomie" الذي ينشأ عن صراع معياري أو قيمي لم يحسم لمصلحة أي من النسقين المتصارعين(١٠١: ٢٢٤)

ويعكس الاغتراب خبرة محدودة بمشاعر الصداقة والمودة، حيث يكون الفرد غير قادر على مناقشة مشكلاته مع أصدقائه، وهذا ما أثبتته أحدى الدارسات التي أشارت إلى صعوبة أن يكّون المغترب علاقات اجتماعية قائمة

على الصداقة والمودة، وكما أن الانتماء يتوقف على الخلفية الثقافية للفرد، فإن الفرد يحتاج للعيش مع الآخرين حتى وأن اختلفوا معه في أساليب حياتهم، كما كشفت الدراسة عن وجود ارتباط دال بين كل من: الانتماء، وسمات شخصية الفرد، والشعور بالذات، كذلك وجود ارتباط قوى بين المشاركة الوجدانية، ودرجة سعادة الفرد، ودافع الراحة والآمان، وأن الاغتراب كثيراً ما يتسبب في انخفاض درجة الإنجاز لدى الفرد، وإذا تحقق هذا الإنجاز فإنه لا يضفي بهجة على المغترب، وغالباً ما يعجز المغتربون عن تحقيق ذواتهم" (١١٤: ٤٩-٥٠)

ويشير "اريكسون" إلى أن "عدم تعيين الهوية إنما هو نتيجة للإحساس بالاغتراب، ومعه يفتقد الفرد التواصل مع مَنْ حوله وينعزل عنهم ويعيش في حالة انفصال وربما كراهية الذات، وكذلك عدم الثقة فيمن حوله مفتقداً التفاعل والإيجابية معهم" (١١٩: ١٠٢)

ومن هنا يتضمن الاغتراب: العزلة، ومعه يشعر المغترب أنه ليس جزء من أي نظام، ولا حتى جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، لأنه يفتقد الولاء والانتماء لأي منهم، وبالتالي ينتفي لدى المغترب- بدرجة أو بأخرى- المسئولية الإيجابية الحقيقية تجاههم.(١٣١: ٦٣) وبذلك يفصح الاغتراب عن انسلاخ الفرد عن المجتمع، وعجزه عن التلاؤم إضافة إلى الإخفاق في التكييف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة والشعور بعدم الانتماء، أما العزلة Isolation، فتشير إلى التنحي جانباً، وهي ظاهرة اجتماعية، وغالباً ما تعود إلى اعتبارات دينية ولغوية وإلى عدم التجانس في السمات العامة للحياة الاجتماعية، وهذه

الملامح غالباً ما كانت توجد في المجتمعات القديمة، ومع ذلك مازال لها بقايا في المجتمعات الحديثة".(٦)

ولهذا الانعزال خطورته على كل من الفرد والمجتمع" فهو ينال من كل من الهوية الذاتية، والهوية الاجتماعية، مما يحمل الحكومات مسئولية كبيرة في التوحيد بين الجماعات المختلفة بالبلاد،وضرورة العمل على تنمية الروح الإيجابية التعاونية التفاعلية للجماعات وتنمية العلاقات الغير رسمية بين الأفراد، خاصة وأن معظم الأسباب التي تؤدي إلى العزلة إنما هي أسباب سياسية واقتصادية".(١٢١: ٤٢)

وبرغم أن الاغتراب ظاهرة اجتماعية المنشأ والجذور، إلا أن أعراضها نفسية سلوكية تظهر في مساوئ توافق الإنسان مع واقعة المعاش بشكل يصبح الإنسان غريباً عن ذاته، وعن واقعة، فالاغتراب ظاهرة اجتماعية لا سبيل لدراستها بمعزل عن البعد السياسي، وأيضاً ظاهرة نفسية لا سبيل لفهمها إلا من خلال حاضنتها الاجتماعية، حيث أن مفهوم الصحة النفسية يعني تلك الحالة التي يعيش فيها الإنسان في سلام نسبي مع نفسه ومع العالم مستغلاً قواه وإمكانياته المختلفة إلى أقصى مداها بما يعود عليه وعلى الآخرين بالرضا والسعادة، وهو مفهوم يعكس علاقة تتضمن تحقيق وجود الفرد، وتأكيد ذاته واستقلاله في حضور الآخرين لتغير نفسه وتغيير الواقع، ومشاعر الاغتراب تأتي نتيجة للنبذ والحرمان وافتقاد العلاقة بالعالم الميتافيزيقي، أو فقدان العلاقة مع الآخرين، ومن ثم تتولد مشاعر عدم الانتماء والولاء ، والاغتراب.(٩٨)

لقد بات واضحاً أن الاغتراب حالة ذاتية وموضوعية في أن واحد ، ونتاج ظاهرة إنسانية، تشير إلى علاقة غير سوية ينسلخ فيها الفرد عن مجتمعه ويركن إلى العزلة ويشعر بالانفصال النسبي عن ذاته وعن مجتمعه نتيجة للإخفاق في الشعور بالتكييف، والإحساس بالعجز والتمرد، ناهيك عن اللامعنى، واللامعيارية في المناخ السائد في مجتمعه، مما يشير أيضاً إلى اغتراب المجتمع ذاته.

وهكذا يكشف هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) عن ذاته "فمعه يشعر الفرد بافتقاده للقدرة والقوى التي تمكنه من إنجاز دوره في الحياة في مواقف بعينها، ولا يستطيع المرء أن يجعل أفعاله ذات معـنى، أو يؤكد انتمائه لجماعته أو يتجنب العزلة الاجتماعية، ولكنه إذا استطاع أن يهرب من اغترابه هـذا و يقهر عجزه وانفصاله وعزلته وتمكن من تغير ظروفه ، فإنه بإمكانه أن يؤدي دوره المطلوب مـنه تجاه نفسه ومجتمعه في حياة إنسانية سوية يسودها الحب والولاء والانتماء وشرف الاعتـزاز بالهوية"[٦٢: ٩٠] فالشخص المغترب هو ذاك الذي يفتقد المشاعر الودية الحقيقية نحو المحيطين بـه ومجتمعه، فهو في حالة انسلاخ ويعيش العزلة والانعزال ويشعر بالعجز عن التلاؤم بل والإخفـاق في التكييف والشعور باللامبالاة وعدم والولاء والانتماء بل و يشعر بالافتقاد لمعنى الحياة ومغزاها[٥: ٣-٤]

ومهما يكن من أمر هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) فإنه لا يخرج عن كونه واحداً من ثلاثة [٨: ٩٠]

(١) إما أنه نتاجاً لطبيعة البناء الاجتماعي كما ذهب "ماركس"

(٢) أو أنه نتاجاً لطبيعة النسق القيمي المعياري المسيطر في المجتمع والذي يتحدد في ضوئه خصائص المجتمع المعتل Sane Society ذاك الذي فقد الارتباط بمعايرة وأصبح مجتمعاً لا معيارياً.

(٣) أو أنه نتاجاً للإطار البيئي المجتمعي الكلي، حيث يبدأ الفرد في معايشة رموزه عندما ينخرط في أنشطة النسق الكلي للمجتمع الذي تعمل خصائصه على انتاج خبرة الاغتراب.

ثانياً: أبعاد الاغتراب:

ويأتي تناول أبعاد الاغتراب ضرورة واستكمالاً لما ورد على الصفحات السابقة من بلورة مفهوم الاغتراب وانعكاساته السلبية على المجتمعات في ظل العولمة، وما تستهدفه تلك العولمة من سيادة المفاهيم العلمانية الليبرالية على المجتمعات كافة تحت مسمى العولمة الثقافية، حتى وأنه غرقت الساحة الدولية في مفاهيم عديدة غربية مثل:(العلمانية، الليبرالية الجديدة، الإصلاح السياسي، حقوق الإنسان، التدخل الإنساني...) وغيرها من المفاهيم الجوفاء التي ما روّجت إلا للصراع والصدام وعدم الاستقرار وأدت إلى تهديد الذات الإنسانية والمجتمعية خاصة في عالمنا العربي والإسلامي بعد أن صاحبها لغة الصراع والصدام التي طغت على ملامحها، وازدهرت مع هذه العولمة حيث ارتبطت مع التحولات المعرفية والتطورات التكنولوجية، وتجاوز هذا التأثير كل شئ حتى

وأنه أمتد إلى العقول البشرية في إطار الترويج لانتفاء الدولة القومية ووجود الإنسان المعولم.

وتحقيقاً لذلك كانت نقطة البداية وهي: **تزيف الوعي الحقيقي ونشر الوعي الزائف** عبر وسائل الإعلام كافة وآلياتها المتعددة التي يساعدها في ذلك التطور التقنى والتكنولوجي في مجال الاتصالات والمعلومات، ومع هذا الوعي الزائف ينتفي الولاء وشرف الإنتساب للأوطان، كما يتلاشى جوهر الإعتزاز بالهوية، ويهدر مفهوم الذات في ظل اللاعدالة واللامساواة، وينتفي تقديرها بفعل الحرمان والافتقاد إلى إشباع الحاجات الأساسية لتحقيق هذه الذات وتقديرها.

وفي ظل هذه العولمة تبدل حال الإنسان، نتيجة أن طغي عليه عالم الأشياء وتجاوزه بفعل القوانين التي صارت تحكمه ولا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيها، فأصبح معها من الصعب التعرف على ذاته أو تحقيق وجودها بفعل هذه القوانين.

إن أبعاد خبرة الاغتراب تتولد من طبيعة شكل العلاقة المتبادلة بين الذات ونمطها، فالواقع يرسب ألواناً من الخبرة في الذات التي تتعامل بدورها من خلالها، فتتولد علاقة تبادلية جديدة، هي حاصل رد فعل الواقع للخبرة التي تسقطها الذات عليه، وهكذا تسير العملية التبادلية في سياق من تبادل علاقات الاستهجان والرفض بين كليهما، الأمر الذي يترتب عليه سعة الفجوة والانفصال بين الذات والواقع ومن ثم تستمر العملية الجدلية والاغترابية[٨: ١٠٨].

إن خبرة الاغتراب خبرة مركبة متراكمة يتعذر تصور حدود فاصلة بين أبعادها وعناصرها، خاصة وأن العامل الأساسي الذي يكمن وراء مجمل

أنماط الاغتراب بشكل عام هو الشعور بافتقاد القدرة كما أشار "سيمان Seaman" بحيث يمكن اعتباره قاعدة مولده لأنماط الاغتراب الأخرى، حتى وأن بدت هذه الأخرى(اللامعنى، اللامعيارية العزلة الاجتماعية)، مصادر لبعضها البعض.(٨: ١١٣)

- **وكان "سيمانSeaman" قد حـدد أبعـاد ذاك المفهـوم الـسلبي (الاغتراب) في التالي:** (١٣٣: ٥١٢)

١- **فقدان القوة Powerlessness:** أي إحساس الفرد بالعجز وأنه لا يستطيع أن يحدد النتائج التي يتوقعها.

٢- **فقدان المعنى Meaninglessness:** وذلك عندما يجد الفرد نفسه حائراً إزاء ما يجب تصديقه ويفتقد الوضوح التام الذي يمكنه من اتخاذ القرار.

٣- **اللامعيارية Normlessness:** وذلك حين يكون الفرد في موقف تنهار فيه المعايير الاجتماعية أو تخبو، أي عندما يرى الفرد أنه لابد من أتباع سلوك غير مشروع لإنجاز أهداف يسعى إليها .

٤- **العزلة Isolation:** وذلك عندما يعطى الفرد قيمة منخفضة لأهداف أو معتقدات يعطيها المجتمع قيمة علياً فينعزل عن المجتمع.

٥- **الاغتراب الذاتي Self Estrangement** أي الغربة عن النفس، ومعها يشعر الفرد بانفصاله عن ذاته.

• **وهناك من صنف أبعاد اغتراب الذات تبعاً لنوعية مفهوم الذات فكان هناك: [اغتراب مفهوم الذات المثالية، والذات الواقعية، والذات الاجتماعية، والذات الجسمية] وهي كالتالي:**(٣٠: ١٢٠-١٢١)

١- اغتراب مفهوم الذات المثالية (الأنا الأعلى):

ويشير هذا البعد إلى صورة الفرد عن نفسه كما ينبغي لها أن تكون من وجهة نظره وتتضمن هذه الصورة: [أهداف الشخص، مطامحة، تطلعاته، قيمة، مثالياته أحكامه الخلقية، معايير ضميره] وإذا تباعدت هذه المكونات عن امكانيات الفرد المتاحة على المدى القصير أو البعيد، فإنها لا تعدو أن تكون مجرد أحلام بلا واقع، أو مجرد نزعات يوتوبية لا تجد سبيلاً إلى واقع الشخص، وبالتالي تغترب الصورة المثالية التي ينشدها الفرد لنفسه عن واقعة الحقيقي.

٢- اغتراب مفهوم الذات الواقعية:

ويعكس هذا البعد فكرة الفرد عن نفسه وإدراكه لها كما هي، ويحدث الاغتراب في هذه الحالة عندما يكون لتقدير الحقيقي للشخص عن ذاته أعلى من إمكانياته وظروفه المتاحة أو أقل منها، وقد يحدث الاغتراب عندما لا تتوافر أمام الفرد في حياته العملية المواقف المواتية التي يستخدم فيها قدراته ومعارفه وخبراته.

٣- اغتراب مفهوم الذات الاجتماعية:

ويقصد بمفهوم الذات الاجتماعية، إدراك الشخص لنفسه في علاقاته بالآخرين، وفي المواقف والعمليات الاجتماعية، ويحدث الاغتراب في هذه الحالة

حينما يدرك الشخص أن وضعه أو مركزه أو دوره في الجماعة ليس بالوضع أو المركز الملائم له، وبالتالي يكون هناك تباعد بين ما يقوم به الشخص من دور اجتماعي حقيقي، وبين ما تؤهله إليه استعداداته ومعارفه وخبراته.

٤- اغتراب مفهوم الذات الجسمية:

ويعكس هذا البعد إدراك الشخص لإمكانياته وخصائصه الجسمية ووظائفه الحيوية، وهذه الصورة الجسمية للذات قد يراها الشخص ويقدرها على نحو أكبر أو أقل مما هي عليه، أو قد تسيطر عليه عادات جسمية أو اتجاهات نفسية نحو رعاية جسمه صحياً تؤدي إلى الإخلال بإمكانياته الجسمية، ووظائف أعضائه، مثل هذه الحالات يكّون فيها اغتراباً في مفهوم ذاته الجسمية.

- **ويتضمن الاغتراب عمليتين أساسيتين يسهمان بصورة فاعله في تحقيق أبعاده ، ومظاهره وهاتين العمليتين هما:**(٥٤: ٢٧٢- ٢٧٣)

الأولي: عملية الاستخراج Externalization: وفي إطار هذه العملية ندرك حقيقة الإنسان كذات انسانية سيكولوجية تعبر عن ذاتها من خلال الموضوعات الثقافية والتأسيسات الفكرية، وهذا يعني تخريج السلوك الإنساني في شكل أيديولوجيا، ونظم اجتماعية أو منتجات مادية، في نطاق ذلك نجد أن الإنسان يعكس ذاته على الواقع المحيط، فيؤسس ما ييسر إشباع حاجاته الطبيعة والاجتماعية، وحتى هذه اللحظة فإن عملية الاستخراج هذه ليست اغتراباً بمعناه الأساسي.

الثانية: الغربة Estrangement : ومع هذه العملية يصبح الإنسان في إطارها وسيلة للإنتاج الثقافي بدلاً من كونه غاية له، وليس من الضروري أن تكون

عملية الاستخراج مصحوبة بالغربة وإلا أصبح المشروع الماركسي لا معنى له، لأنه حاول أن يرجع أشكال الفردية إلى الظاهرة الأساسية للاستقلال الاقتصادي أي أنه قصر قضية الاغتراب على الاغتراب الاقتصادي، وبذلك أغلق الباب على التحليل العام والمثمر لقضايا التنظيم الاجتماعي وبناء الشخصية.

ويرى "ماركس" أن قدرات الإنسان الكامنة والمبدعة قد اضمحلت وقُهرت تحت تأثير الشروط الاجتماعية السائدة في كل المجتمعات الطبقية، ففي نطاق الرأسمالية يحرم الإنسان من تحقيق إمكاناته كإنسان، بل ويحرم من حاجاته الأساسية كالطعام وأهم أساسيات الحياة، حتى وأن الجوع أصبح يدرك كحالة من الحرمان التي يفرضها البعض على الآخرين.

ثالثاً: أنواع الاغتراب:

للاغتراب صور وأشكال عديدة وتبعاً لها تتعدد عوامل وأسباب وجوده وأيضاً تتنوع مظاهره.

- **أما عن تعدد صور الاغتراب فمنها ما يلي**(٥٤: ٢٧٦ - ٢٨٤)

١- الإنسان الفاعل في النسق الاجتماعي.

٢- التنظيم الصناعي الإنتاجي.

٣- النسق الاجتماعي الشامل.

١- على المستوى الإنساني: إن أول صور الاغتراب في هذا المستوى تبدو في تحول علاقة الإنسان بالعالم إلى علاقة ذات طابع إنساني وفي تفاعل مع العالم الطبيعي لا في حالة تكييف، كما أن العمل المغترب يرجع النشاط الإنساني المنتج إلى مستوى التكييف الذي معه يفقد العامل سيطرته على إنتاجه الذي يستولى عليه الآخرون، ومن ثم فهو لا يستفيد منه، لأن آليات السوق في المجتمع الرأسمالي تعمل لصالح ذاك الرأسمالي على حساب العامل، وكلما أنتج العامل أكثر قل ما يستهلكه وازداد فقراً واغتراباً عن ما ينتجه.

٢- على مستوى التنظيم الإنتاجي: هنا يكون التأكيد على قوة الإنتاج الاجتماعي مدخلاً لجلب كثير من العمال ليعمل كل لجانب الآخر ويتعاون معه، مما يولد فائض قيمة أكثر، كما أن التخصيص من خلال تقسيم العمل كميكانزم إنتاجي يحول البشر إلى أجزاء، حيث يعين لكل عامل وظيفة جزئية يقتصر على أدائها، وتبعاً لذلك يستخدم كل عامل أدوات متخصصة لإنجاز كل عملية فرعية صغيرة يقوم بها، وهذا يتطلب ضرورة أن ينال التغير الأدوات المستخدمة في الإنتاج.

ويرى "ماركس" أن تباين أدوات الإنتاج يعني أن أدوات معينة تتخذ شكلاً ثابتاً تتكييف وتنفذ عملية معينة، وهنا يخضع العامل لوسيلة واحدة ويصبح شرطاً إنتاجيا يخضع له العامل بدلاً من ممارسته الإنتاج بأدوات عديدة له سيطرته الكاملة عليها.. وهذا بدوره يقود العامل إلى الاغتراب عن قواه الخلاّقة ويغترب العامل عن امكاناته الفردية.

٣- **الاغتراب على مستوى النسق الاجتماعي:** وفيه تتأسس مجموعة من الظواهر تقع عبر عدة مراحل تاريخية متتابعة، تسلم كلها في نهاية الأمر إلى تخليق نسق مغترب عن طبيعته الأساسية، وتولد تناقضاته احتمالات نفيه وانهياره، وأول صور الاغتراب على مستوى النسق هي الصراع الاجتماعي، ويذهب "ماركس" إلى أنه إذا تمكن البناء الاجتماعي من التخلص من أحد أشكال الاغتراب على هذا النحو، فإن ذلك عادة ما يكون مقدمة لمولد اغتراب جديد، بحيث لا ينتفي هذا الاغتراب إلا بنهاية الشكل الطبقي للمجتمع، وتحقيق مرحلة الشيوعية التي يستعيد في إطارها النسق هويته الأولى الأساسية.

وتأتي صورة الاغتراب على مستوى النسق في تقسيم العمل الاجتماعي وهو ما يمكن أن يسمى باغتراب الإنسان عن الآخر في إطار العلاقات الاجتماعية ، حيث يعزل الأفراد عن بعضهم البعض، بل ويوضع معظمهم ضد بعض، ويكمن أساس أرتباطهم في السلع التي يتبادلونها وليس في أشخاصهم. فاغتراب الإنسان عن ذاته هو في نفس الوقت اغترابه عن أقرانه من البشر.

- **وهنـــاك من صنف عدة اشكال متميزة من الاغتراب برغم وجود ارتبـــاط بينها لأنها تعكس أعراض ومظاهر الاغتراب وهي كالتالي:**(٨٩)

١- **شعور الفرد بأعراض نفسية متباينة منها:** فقدان الإحساس بكيانه وذاته المستقلة مع الميل للنفور والابتعاد عن العلاقات الاجتماعية نتيجة حدوث شرخ في البناء النفسي لديه.

٢- **فقدان الإحساس بقيمة العمل:** وهو ما كشف عنه "ماركس" أو قيمة منتجات الأفراد داخل مجال العمل الواسع، وإحساس العامل بأنه سلعة داخل سوق العمل .

٣- **فقدان المجتمع للمعنى:** حيث يرى الأفراد أن نظام مجتمعهم يتسم بالعقم وعدم العدالة في منحهم مستحقاتهم بحسب ما ينجزوه من أعمال وعلى قدر طاقاتهم.

٤- **الابتعاد عن العقيدة والدين والشعور بالفراغ الديني:** وتشبع الأفراد بالقيم المادية ، وهذا ارتبط بالضياع وضعف القيم الأخلاقية.

- **وهناك من صنف الاغتراب إلى التصنيف التالي:** (٩٥: ٣٣)

١- **الاغتراب الثقافي:** ومعه يتبنى الفرد المغترب نموذجاً ثقافياً يلقى معه إعجاباً واستهواءً وانفعالاً، بينما يعيش واقعاً ثقافياً آخر ينتمي إليه، وفي هذه الحالة يغترب الشخص عن ثقافة جماعته، ومن مظاهر هذا الاغتراب النقل دون الاستيعاب للثقافة الأجنبية توهماً بأنها الطريق إلى التقدم ودالة التحضر، والتبني الأعمى لأفكار أو معتقدات أو نظريات أو قوالب أيديولوجية جاهزة الصنع في ثقافة مغايرة غير ثقافته، ويحاول فرضها بالقوة على ثقافة جماعته دون مراعاة للواقع الاجتماعي التاريخي لكل ثقافة من ثقافات المجتمع الإنساني، والجوهر المميز لأسلوب حياة هؤلاء الأشخاص هو المسايرة الزائدة أو الأمعية لا المسايرة البناءة القائمة على الاستيعاب والهضم للثقافة الأخرى ومزجها مع ثقافته محتفظاً بأصالته وهويته المميزة.

٢- **الاغتراب التكويني**: يحــدث الاغتــراب التكــويني Developmental Alienation لدى أولئك الذين يشعرون بضياع حياتهم الفردية، وما فيها من علاقات وروابط بشكل لا يسمح بإعادتها من جديد، وهذا يأتي لنمو الحيــاة، خصوصاً بالنسبة للطلبة،ذلك النمو الذي يعني إظهار أشياء جديدة، وضــياع أشياء وأمور أخرى مرت في مراحل سابقة من الحياة، فالفرد الراشد كثيــراً ما يفتقد أيام الطفولة وما سادها من رعاية وحنان، ويحن إليها، وقد يــنعكس هذا الاغتراب لدى الراشدين نتيجة لتبدل علاقاتهم بأطفالهم، بـسبب نــضج هؤلاء ونمو اعتمادهم على أنفسهم بدلاً من اعتمــادهم علــيهم، وإنكمــاش علاقاتهم العاطفية والذهنية والاجتماعية بهم، كذلك يخلق الــزواج شــعوراً بالانفصال عن الحرية وعدم المسئولية، وفي نفس الوقت يمنح الفــرد حقــاً جديداً في التعمق في صلاته بشريك حياته في ميادين متعددة.

٣- **النبذ والرفض الكوني**: وفيه يكون الاغتراب نوعاً من أنواع النفي أو الطرد من عالم الأهداف والدفء العاطفي والمغزي الاجتماعي، فالحياة في واقع المنبوذين فراغ لا حدود له، ومن يواجه هذا النوع من الاغتراب من الشباب المرفوض في المجتمع الغربي يشعر كأنه في عالم لم يصمم للإنسان، ولم يهيئ ليستجيب لخصائصه الإنسانية، وهذا النوع من الاغتراب يمثل رفضاً كونياً.

رابعاً: أهم مظاهر الاغتراب:

ولما كان الاغتراب يعني الانفصال عن الذات، والواقع، وأيضاً افتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن بعد انعدام الشعور بالقدرة على تغير هذا الواقع، ومن ثم افتقاد القدرة على اكتشاف المغزي والعبرة القيمية في الحياة، فإن مظاهر هذا المفهوم تكمن في أبعاده التي تحدده فمعه نتلاشي المعايير وتحدث العزلة عن المجتمع ثقافياً وحياتياً، ناهيك عما يصيب المرء باغترابه عن ذاته.

١- الاغتراب عن الذات Self Estrangement

من أهم مظاهر هذا الاغتراب هو الاغتراب عن الذات وهو أساس كل مظاهر الاغتراب، حيث "يرتبط اغتراب الفرد عن ذاته- عند "سيمان Seaman" - بعدم قدره الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال بين ما يرغب أن يكون عليه وبين إحساسه بنفسه في الواقع، وتتميز الأبعاد الخمسة التي حددها"سيمان Seaman" كأبعاد للاغتراب بخاصية الانفصال في وعي الفرد، فهو يذكر أن الشعور بالعجز والذي يكمن في عدم قدرة الفرد على التحكم في نواتج السلوك والأحداث مستقل منطقياً عن الإحساس باللامعنى والذي يعبر عن عدم قدره الفرد على التنبؤ بنواتج السلوك، فقد يعي الفرد الكثير من الأحداث وما يحيط به ويملك القدرة على التنبوء بما هو قادم لاستقرائه للواقع، ولكن يشعر بالعجز لأنه لا يستطيع تغير ما هو قائم لأنه بعيد عن مركز صنع القرار"(٧٤: ٤٨)

"كذلك أن شعور الفرد بالعزله" لا يعني إحساسه باللامعيارية أو العجز أو اللامعنى ولكنه يوضح أن الشعور بالاغتراب عن الذات هو الأساس في كل

مظاهر الاغتراب الأخرى، وأن الفرد حينما يغترب عن نفسه فإنه يصبح أداة لخدمة أغراض خارج نفسه، وحينما تزداد حدة الشعور بالاغتراب عن نفسه فإنه يخبر الإحساس بالعزلة والعجز، واللامعنى واللامعيارية"(٧٤: ٤٩)

ومع الاغتراب عن النفس تفقد النفس المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي تؤديه وما يصاحبه من مشاعر، لأنه مع غربة الذات يغترب العامل عن ذاته من خلال نشاطه الإنتاجي خاصة عندما يعجز عن السيطرة على عمله ويفتقد الروابط والعلاقات ذات المغزي داخل المجتمع الذي يعمل فيه، وتتبلور العزلة و الاغتراب المجتمعي العام في شعور الفرد بأنه في المجتمع وليس مع المجتمع، وإحساسه بالانفصال عن النظام الاجتماعي ككل، وانعدام الولاء للتنظيمات الاجتماعية، والحالة العكسية للعزله هي الإحساس بالانتماء للجماعة المحلية/ المجتمع والولاء له، والالتزام بمعاييره وقيمة، والمشاركة في التنظيمات الاجتماعية والسياسية.

كذلك تمثل غربة الذات انفصاماً بين الاهتمامات والمصالح الآنية والمستقبلية بين حياة الفرد العملية ودوره الوظيفي من ناحية، واهتماماته الخاصة من ناحية أخرى(١٠١: ٢٢٨-٢٢٩)

وكم أكدت نتائج العديد من الدراسات بأن الاغتراب عن الذات "مرتبط بالاغتراب عن المجتمع، وهو تعبير عن حالة نفسية في الأصل لأنه معها يشعر الفرد بانفصاله عن ذاته وعن مشاعره الخاصة وعن اتجاهاته وميوله التي تربطه بالعالم الخارجي، فينتابه إحساس بالإحباط والمرارة والاستياء من العالم حوله"(٧٤: ٥٤)

وقد سبق وميز "هيجل" بين أنواع الاغتراب على مستوى الشخصيه، والنظم الاجتماعية والثقافية، وأثار قضية جوهرية مازالت تمارس تأثيرها على الفكر المعاصر والحديث وهي:"أن اغتراب الشخصية يكمن في الصدام القائم بين ما هو ذاتي وما هو واقعي، كما هو الحال بالنسبة لاغتراب العبودية، وفضلاً عن اغتراب الصدام القائم بين الذاتي والموضوعي وما يترتب عليه من فقدان للسيطرة الفردية، هناك الاغتراب الفكري أو العقلاني نتيجة للقهر والطمس الناجم عن خضوع شخص ما لشخص آخر يمارس قواه وسلطته القائمة على تلك الشخصية، ومن ثم يكون نوعي الاغتراب: القانوني والذهني محققان على مستوى اغتراب الشخصية"(٣٧: ٤٠)

ويعتبر الاغتراب عن النفس الأساس وراء عدم الإحساس بالهوية، ويرجع هذا الشكل من أشكال الاغتراب إلى عدم انضواء الشخص وخاصة في طفولته في مواقف وخبرات يستطيع فيها أن يكتشف نفسه ويدرك خصائصه وقدراته وجوانب قوته وضعفه، كذلك يضعف الإحساس بالحرية من الداخل وتقوى عبودية الخضوع للآخرين وللتوجه من الخارج. والشخص المغترب عن نفسه يكون بغير وعي كاف بحرية الاختيارات المتاحة له من بين هذه البدائل أو تلك. كذلك من مظاهر الاغتراب عن النفس، ايثار الشخص غالباً العزوف عن الاجتهاد، وعدم الرغبة في تحمل المعاناة والألم، لذا فإنه يستمد أفكاره وأفعاله من الآخرين دون أبداء لرأيه أو توضيح خصائصه وخبراته بما يبرز تفرد شخصيته. ومع هذا الاغتراب لا يستطيع الشخص توظيف إمكانياته وخبراته، ويدرك نتيجة لذلك أن ثمة تناقضاً حاداً بين إمكاناته واستعداداته

الطبيعية من ناحية، والفرص المتاحة لتوظيفها من ناحية أخرى، أي بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، بين الذات والموضوع، ومن ثم فإن ما يباشره من أدوار اجتماعية أو مهنية يغترب فيها الفرد عن واقع نفسه. (٣٠: ١١٢-١١٤)

- **وفي ضوء هذه المعاني للاغتراب عن الذات يمكن إجمال أهم أنماط سلوك الشخصية المغتربة فيما يلي:** (٣٠: ١١٥-١١٧)

تتميز الشخصية المغتربة باعتناقها لأي من أنماط السلوك التالية، وجميعها تعكس سمات وخصائص الشخصية المغتربة:

السلوك الإنسحابي: إن السلوك الانسحابي يبدو في السلوك الإحجامي، وفيه يبتعد الشخص المغترب عن التفاعل مع أعضاء الجماعة، ويعزف عن الاضطلاع بأدوار اجتماعية يقاسم فيها الآخرون المسئولية الاجتماعية.

ومن أعراض هذا النمط الانسحابي، فتور الهمة، قلة الحماس، ضآلة الفاعلية، ولذلك فإن أصحاب النمط الانسحابي يقرون بالهزيمة ويعترفون بصعوبة المواقف الاجتماعية وإنها تفوق مقدرتهم وبالتالي يستبدلونها بمواقف أخرى يتجنبون فيها سلوك المواجهه المسئولة.

السلوك الانغلاقي: يتميز أصحاب هذا النمط من السلوك بنزعة مسيطرة للتمركز حول الذات، وبالانغلاق في دائرة خبراته وأهدافه واهتماماته ومصالحة الشخصية، ويتسم هؤلاء الأشخاص باتجاه (ميكافيلي) يفضل ايثار المكاسب والمنافع فوق كل اعتبار، ويعتبر (الأنا) عندهم هي بؤرة عالمهم، وموجه سلوكهم ، وليس (الأنا/ والآخر).

السلوك الرافض: ويتسم أصحاب هذا النمط بالمقاومة للسلطة، ويتجاهل في ذلك القواعد والقوانين الاجتماعية، ويرفض المعايير الثقافية المقبوله المرتبطة بالسلوك والعلاقات الاجتماعية والممارسات العملية، وهو نمط يسبب الاضطرابات للآخرين برفضه لأصول التعامل معهم، أيضاً هو نمط بصفة عامة يرفض أهداف الجماعة وإجراءاتها.

وعليه فـــإن مـــن أهـــم خـــصائص وســـمات الشخـــصية المغتربة ما يلي:(٣٠: ١٢١- ١٢٢)

- **التوجه السلوكي اللاجتماعي**: ومن سمات أصحاب هذا النمط مضايقة الآخرين بالسخرية منهم، وأيضاً الاستهزاء بهم أو التعالي عليهم، والنقد الزائد لهم ، وكثرة توجيه اللوم اليهم وإحداث النكد والإزعاج لهم عن قصد.
- **تمييع الإحساس بالهوية**: وهو ما يكشف عن نظرة مسيطرة للذات، قوامها أن الذات هي مجرد تضمين لحاجات بيولوجية، وهي تلعب أدوار اجتماعية، ويعني ذلك أن أصحاب هذا النمط من الشخصية توجههم من الداخل حتمية الحاجات البيولوجية، ومن الخارج حتمية الأدوار الاجتماعية، فلا سبيل أمامهم في الغالب إلا أن يخبروا تلك الموجهات الأساسية للشخصية الناضجة وفي مقدمتها (الحرية، الاختيار، المسئولية، الوعي) وغيرها من مبادئ التوجيه الشخصي المسئول، ويكون هذا الشخص مغترباً عن نفسه وعن مجتمعه.

- **الوجود القائم على اللامعنى:** أن فلسفة الشخصية المغتربة في الوجود غير واضحة أو غير واعية، وأهدافها غامضة أو غير محدودة، فوجودها يعوزه المعني، وحياتها قائمة على فراغ وجودي.
- **نقص تحقيق الذات:** ويبدو ذلك في نقص قدرة الشخص على السعي إلى النمو أو التحسن، وأن يصبح أكثر اقتداراً، وان يعبر عن نفسه، أي نقص قدرته على تحقيق امكاناته وتوظيف طاقاته وإثبات ذاته.

والشخص المغترب: تعوزه القدرة أن يحدد ويوجد مجالات تساعده على تحقيق ذاته، لأنه مقيد من الداخل، حيث يعوقه التمركز حول ذاته وأنغلاقيته وصده لجماعته، وبمعنى آخر: أن الشخصية المغتربة تجد في الأعراض الإنسحابية أو الانغلاقية أو الرافضة، آليات دفاعية ضد اخفاقها في تحقيق بناء الذات.

وفي سياق سمات الشخصية المغتربة وأهم خصائصها فقد انتهت إحدى الدراسات "التي اهتمت بالبحث في المؤشرات النظرية والامبيريقية الموجهة لبحوث الاغتراب إلى أن من أهم سمات المغترب: الأنانية لدى المستغل، والأنامالية لدى المقهور، ناهيك عن اتساع مفهوم الاغتراب حتى وانه شمل مظاهر سلوكية كثيرة معها أصبح مفهوماً فضفاضاً".(٣٨)

كذلك انتهت دراسة أخرى تمت على طلاب الجامعة، إلى أن الاغتراب عن النفس هو الأكثر انتشاراً، واعتبرت الدراسة أن الاغتراب عن المجتمع بمثابة مدخل ومفسر للاغتراب عن النفس وعن الجامعة، وأن الاغتراب عن

الجامعة وعن المجتمع هما وراء الاغتراب عن الذات ومعه يفتقد الطالب إلى الإحساس بذاته وهويته(٤٧)

كذلك توصلت دراسة ثالثة من خلال الإجابة عن تساؤلها البحثي والذي تمحور حول اغتراب بعض الأفراد عن مجتمعهم دون سواهم، وكانت عينتها من طلاب جامعة "هارفارد"، الأمريكية، وتوصلت الدراسة إلى أن من أهم الأسباب وراء اغتراب هؤلاء الطلاب هو الشك وعدم الثقة وكانوا المتغير الأساسي وراء مشاعر الاغتراب، وأن هؤلاء الذين يعانون الاغتراب هم أكثر معاناة للانعزال وفقدان المعني في حياتهم ويعانون القلق ويشعرون أن حياتهم بلا هدف، وأنهم في حالة رفض للأفعال التقليدية في المجتمع (الأمريكي) موضوع الدراسة، وأكدت الدراسة على أن الاغتراب نتاج تفاعل بين العوامل المجتمعية والنفسية والتاريخية، بمعنى أنه نتاج العوامل الداخلية والخارجية معاً في خبرة الفرد(١٣٢)

كذلك انتهت احدي الدراسات إلي ارتباط الاغتراب لدي الذات بمدي الطموح، والذي في حال افتقاد تحقيقه قد يصاب الفرد بالإحساس بالعجز وقد يجبر علي الانعزال عن المجتمع نتيجة ما ناله الاغتراب من مفهومه عن ذاته وفشله في إنجاز طموحاته.(١٢٦)

كان هذا عن غربة الذات باعتبارها الفاعل الأساسي وراء كل مظاهر الاغتراب الأخرى ، وقد يكون من المفيد ان نلقي نظرة سريعة علي بُعد آخر وهو (اللامعنى) والذي يظهر كمتغير أساسي من أبعاد الاغتراب وكامن وراء مظاهره.

٢- اللامعني Meaninglessness

يرى "سارتر Sarter" أن اللامعنى هو العبث في الوجود، وأن العبث هو فقدان المعنى. وتتبللور أفكار الوجوديين على شكل نظرية نفسية عند "فرانكل" عام ١٩٧٢، وهي تقوم على أن حياة الإنسان تتمركز حول إرادة المعنى Will to be Meaning ، ويرى أنه إذا ما غاب عن الإنسان الشعور بمعنى الحياة، فإنه يعاني ما يسمى بالفراغ الوجودي، وهو مفهوم صكة "فرانكل" للتعبير عن حالة السأم والملل، وأن الحياة أصبحت بغير معنى أو هدف، لذا كان العلاج بالمعنى هو العلاج بالعقل أو الكلمة في الحياة، هو المعبر إلى تسامي الذات، وهو يتجاوز تحقيق الذات. ويرى "فرانكل" أنه مع تسامي الذات يعني أن الإنسان كائن مجاوز لما هو متحقق إلى ما هو غير متحقق، وهذا هو مكمن قوته وتساميه المستمر، وإنه أمام هذا التسامي يفتح للإنسان معاني إيجابية للحياة، فالحياة كما يقول "سارتر" تبدأ من الجانب الآخر من اليأس، ويرى "ماسلو" أن الألم والمعاناة يفضيان إلى القوة والنماء، ويرى "نيتشه" أن التأمل مصدر العظمة، وقوله على لسان رزادست: السم الذي لا يقتلني يزيدني قوة، فالحياة لا تعطي بل تؤخذ، والحرية لا تكون إلا في مواقف تتسم باستلاب الحرية، والمعنى لا يتحقق إلا من خلال معاناه اللامعنى، فالحياة معنى رغم ما بها من عبء وتناقض واللامعقول، وإنه من اليأس إلى الحياة إلى الولع بالحياة، **فنحن الذين نضفي على الأشياء القيمة والمعنى**، وهذا الإضفاء لا يكون إلا من خلال الشدة والقوة على إعطاء الحياة والمواقف قيمة، وأن الإيجابية في الحياة

تتطلب أن يأخذ الإنسان نفسه بالشدة، وأن يتجاوز الوقوع في أسر الغواية ومكاسب المرض النفسي.

ولهذا انصب علماء النفس الإنسانين على العمل على تنمية إمكانات الإنسان للسواء والارتقاء بلوغاً إلى قوة الكنيونة التي تتضمن التسامي بالذات Self Transcendence وبالتأكيد على الوعي في تشكيل الخبرة والكينونه، وعلى ذلك فإن قيمة الإنسان تستمد دلالتها من معنى ما يقوم به من أفعال، وما يتوق إلى تحقيقه في المستقبل(٧٢: ١٥٢-١٥٤)

ومن العوامل التي تصيب المرء بمشاعر(اللامعنى) هي التنظيم الإداري البيروقراطي، حيث أنه كلما زاد تقسيم العمل تعقيداً كلما قل الترابط العضوي بين الأدوار الفردية لأعضاء التنظيم والبناء الكلي للأدوار في المشروع، مما تقيم رؤية العامل لقيمة ودوره ومعنى نشاطه في تحقيق الهدف النهائي للمشروع، ويعكس الاغتراب مشاعر انعدام المعنى وفقدان المغزى والانفصال بين الكلي والجزئي، حينما يجد الإنسان أن أفعاله الفردية ليس لها علاقة واضحة مع أنشطة الحياة، وحين لا يتبين الصلة العضوية بين دوره كفرد والأهداف الكلية للحياة الاجتماعية، والحالة المقابلة هي: إدراك الاتصال الوجودي بين هدف الإنسان وخطة الحياة وفهم الهدف من مجمل نشاطه باعتباره نشاطاً هادفاً له قيمة مكملة لغيرة من الأنشطة الأخرى وأنه جزء هام من كل مفهوم(١٠١: ٢٢٧)

ويرى "أريكسون" أن اللامعنىMeaninglessness وكذلك الأنومي Anomie ربما يكونان سبباً ونتيجة للاغتراب في آن واحد، وأن كل من الواسوس والقهر، والكبت، من الممكن أن يكونوا نتيجة لعدم اكتشاف الفرد

لهويته، وأن الاغتراب الذي يتمثل في تعيين الهوية، يأتي نتيجة للأزمات التي تعترض مراحل النمو، وتسفر عن أعراض تتمثل في القلق والشعور بالخزي والإحساس بالذنب(٧٤: ٤٠)

رابعاً: العوامل والأسباب الكامنة وراء الاغتراب :

لقد كشف التحليل السابق لمفهوم الاغتراب وأهم أبعاده وأيضاً المظاهر التي تؤكد وجوده، أنه مفهوم سلبي يصيب الذات الإنسانية الفردية، وأيضاً المجتمعية، ومع ذلك فإنه لإتمام عمليتي التغير والتوازن "فهناك من يرى أن كل فرد يحمل قدراً من المسايرة وآخر من الاغتراب في نفس اللحظة، فالمسايرة هي التي تعمل على حفظ التوازن في المجتمع وبين فئاته، وكذلك يعمل الاغتـراب على تحقيق التغير الذي هو ضرورة من ضروريات الحياة والتقدم".(١٤٣: ١-٢) ولكن تلك الدرجة المطلوبة من الاغتراب والمسايرة لإحداث ذلك التوازن والتغير إنما هي مسالة معيارية نسبية، "فيرى بعض المفكرين أمثال "اريك فروم Erick Fromm" أن شر أنواع الاغتراب هو المسايرة نفسها، ويرى فيها مشكلة العصر الذي معه تحرر الفرد من كل ما كان يعوقه في الماضي، ولكنه اسلم نفسه لغيره، وتشكل تحت تأثير قوي خارجة عنه وليست قوى نابعة من ذاته حتى يكون صانعاً لعالمه"(٣٢: ٦٦)

وما عملية التنشئة الاجتماعية عبر العديد من المؤسسات المجتمعية والتربوية بدء من الأسرة إلا نوع من المسايرة تسهم في امتثال الفرد للعديد من القيم السائدة والعادات والتقاليد، وهذه المسايرة تحفظ للفرد إنسانيته وعضويته

في الجماعة التي ينتمي إليها، ولذا يسهم الاغتراب بدرجة أو بأخرى في عملية التغير المطلوب بهدف النماء والتطور.

وتتعدد العوامل والأسباب التي تؤدي إلى الاغتراب فمنها:العوامل المجتمعية، ومنها ضعف كل من الوعي الديني والوعي التاريخي، ومنها أزمة الهوية، ناهيك عن العوامل النفسية والبيئية للفرد ذاته.

١- العوامل المجتمعية:

تلعب العوامل المجتمعية دوراً هاماً في مدى وكيفية الاغتراب لدى الأفراد منها:

(أ) تدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: حيث تسهم في تزايد مشاعر الاغتراب لدى الأفراد، وتنال من مرحلة الشباب بصفة خاصة، فتصيبهم بالانعزال واللامبالاة والتباعد عن الآخرين حولهم، وخاصة الأجيال السابقة عليهم، والتي ربما قد تسفر عن الصراع معها بدرجة أو بأخرى وخاصة على مستوى القيم. وفي هذا السياق توصلت أحدى الدراسات التي استهدفت البحث في ظاهرة الاغتراب الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية توصلت إلى أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الطلاب خاصة في مرحلة المراهقة تؤدي إلى اغترابهم عن المجتمع، ويتمثل ذلك في التالي: [٢٤]

- **بعض أنماط التربية الأسرية.**

- **الظروف الثقافية** التي يحيا فيها المراهق، يمكنها أن تسهم في تدعيم التوجهات التي تمهد للاغتراب الاجتماعي وتنميته، كالروايات التي تصدرها وزارة الثقافة، وكذلك محتوى بعض الصحف القومية التي لا تعطي الشئون الدينية اهتماما كافياً.

- **انتشار الأمية** بكل صورها بين قطاعات عريضة من الشعب بما يسمح بانتشار صور التفكير اللاعقلاني أو الخرافي، ويحول دون حوار إيجابي مثمر.

- **طبيعة الخطاب الديني وتدني أسلوبه** بصورة جعلته غير كاف لجذب الشباب للمعايير الصحيحة. وهكذا انتهت الدراسة إلى أنه قد أسهمت كل هذه الظروف المجتمعية في اغتراب هؤلاء الطلاب عن مجتمعهم خاصة وأنه لم يكن هناك اهتماماً بالأمور الدينية حتى تبث القيم الدينية التي تساند الأفراد وتعينهم على احتمال المعاناة بطريقة إيجابية يصلح معها شأنهم في علاقتهم مع أنفسهم وأيضاً في علاقتهم مع الآخرين حولهم، للتغلب على المشكلات والقضايا المجتمعية دون معاناه الاغتراب.

ولقد ساهمت التطورات السريعة في مجال التكنولوجيا والاتصالات في إحداث تفكك في النظم التقليدية التي هي غالباً ما تبدو غير ملائمة لتوقعات وآمال ومطالب الشباب خاصة، مما قد يسهم - بصورة أو بأخرى- "في ضعف استقرار الإطار القيمي بالمجتمع والذي هو وراء تدعيم الإحساس بالهدف وتمثيل للمعنى والثقة في المستقبل" (٨٠: ٨٢)

(ب) تهميش الشباب وتجاهل مشاركتهم في الأمور الحياتية: حيث يفترض أن لهم دوراً فيها، فإن هذا التجاهل يؤثر سلباً عليهم، بل وينال من مشاعرهم خاصة على مستوى الانتماء والولاء والهوية، مما يجعل ناتج جهد هؤلاء الشباب إما غير مقصود أو متعارض مع اهتماماته وإمكانياته ومصالحه فيسبب لهم مشاعر العجز وعدم القدرة وبالتالي المعاناة بدرجة أو بأخرى من الاغتراب بمظاهره.

ولأن الأمر لا يقف عند التهميش والتجاهل وعدم المشاركة، بل يتجاوز ذلك إلى **معاناة الفراغ وعدم استثماره**، فلا يعرف الشباب كيف يوظفه في صنع حياة اجتماعية واعية خاصة في عصر العولمة بسلبياتها وما أحدثته من إفقار للغالبية العظمي من الشعوب، وإفقاد الدولة سيطرتها على نشاطها الاقتصادي مما أثر- بصورة أو بأخرى- على الخدمات المقدمة للشباب في كيفية استثمار وقت الفراغ، رغم أهمية هذا الاستثمار لوقت الفراغ الذي في حال انتفائه ينال من فكر وجهد الشباب يؤدي بهم إلى الاغتراب، وفي هذا السياق توصلت إحدى الدراسات إلى وجود علاقة بين أبعاد الاغتراب حيث (العزلة، الإحساس بالعجز، عدم وضوح الهدف، عدم التمسك بالمعايير الاجتماعية، التمرد) وبين كل من مستوى تحصيل الطلاب ومدى مشاركتهم في الأنشطة الطلابية، والدراسة الدينية، فكان كلما ضعف اشتراك الطلاب في الأنشطة زاد معدل اغترابهم، وكلما ارتفاع المستوى التحصيلي للطلاب كلما قل معدل اغترابهم، كما وجدت علاقة دالة عند(٠,٠١)عند علاقة أبعاد الاغتراب بالدراسة الدينية[٣٢]

(ج) **عدم الاستثمار الجيد لوقت الفراغ لدى الشباب:** حيث افتقاد ذلك يؤثر سلباً على مدى وكيفية الوعي لديهم، بل وينمي الوعي الزائف ويسهل تفشي مشاعر الاغتراب لديهم، خاصة إذا زاحمت الفضائيات والانترنت هذا الشباب في وقت فراغه وجذبته إلى عالم مفعم بقيم مغايرة تنبثق من العلمانية والليبرالية، وهي قيم غاية في التحرر، ناهيك عما تستهدفه هذه الفضائيات من عمليات الغزو الفكري - بصورة أو بأخرى- وقد يقع فيها الشباب سواء بوعي أو بغير وعي حتى وأنه ربما قد يجد نفسه فريسة لهذا المفهوم السلبي (الاغتراب) .

وفي هذا السياق انتهت احدى الدراسات إلى أنه من أهم العوامل المسببه للاغتراب هي الصراع النفسي الداخلي، والتصدع السيكولوجي والتشويه الاجتماعي للبيئة، والذات، ناهيك عن الحرمان والجوع الشديد للحب والعطف والانتماء، وتوصلت الدراسة إلى أنه من علامات الاغتراب النفسي الشعور بالوحدة، والانهيار، والحيرة والتردد، وشدة الانفعالات السلبية كالغضب[٢٧]

كذلك توصلت دراسة أخرى بحثت في مدى الاغتراب لدى الشباب، إلى وجود عوامل ذات دلالة مرتبطة فيما بينها ارتباطات موجبة وهي (العزلة الاجتماعية، اللامعيارية، التشيؤ، اللامعنى، العجز، التمرد) كعوامل للاغتراب، وأكدت الدراسة على وجود علاقة بين الاغتراب بعوامله وبين المتغيرات التي حددتها الدراسة وكانت (التسلطية، الدوجماطقية، القلق، متغيرات تحقيق الذات) وأظهرت النتائج ارتباطات متوسطة مع القلق، وأقل من متوسطة مع الدوجماطقية وضعيفة وأن كانت دالة مع التسلطية[٧١: ٢٥٩-٢٨١]

ومثل هذه النتائج هي إشارات وانعكاسات لمدى التوتر والقلق الذي يعيشه الشباب والذي ضاعفت من آثاره العولمة بسلبياتها، وانعكاساتها على مجالات الحياة كافة وخاصة الاقتصادية، تلك التي سلبتهم فرص للعمل وزادت من معاناتهم حيث البطالة والفقر وعدم إشباع حاجاتهم الأساسية، وأيضاً المجالات الثقافية التي تروّج لها الفضائيات والشبكة العنكبوتية بما تبثه من قيم واتجاهات مغايرة قد تنال - بصورة أو بأخرى- من وعي الشباب وتعمل على تزيفه بل وتزيده زيفاً.

(د) **أساليب السلطة السياسية**: حيث أنه تبعاً لنوعية الأساليب التي تتبعها السلطة السياسية مع المواطنين عامة، والشباب خاصة، يكون مدى التفاعل الإيجابي لديهم الدي يتبدى في نوعية السلوك تجاه العديد من المواقف الحياتية، فإذا مارست السلطة أسلوباً ديمقراطياً وسمحت بمساحة أكبر من الحرية في التعبير لدى المواطنين كان ذلك إيجابياً وساهم الشباب في تفاعل إيجابي في المواقف الحياتية، عكس ما إذا كانت السلطة دكتاتورية فإن ذلك حتماً سينعكس سلباً عليهم، بل ويحول دون حركتهم ويسهم في تزييف الوعي لديهم، ويعجل بانتشار مشاعر الاغتراب نتيجة حرمانهم حرية التعبير وتهميشهم وتجاهلهم كقوة فاعلة ومؤثرة في بناء مجتمعهم. وفي هذا السياق استهدفت أحدى الدراسات، البحث في نوعية العلاقة بين حرية الفكر، والاغتراب، واضطراب الشخصية، وانتهت الدراسة إلى عدة نتائج كان من أهمها: أن الأفراد الذين يعانون من الاغتراب عن مجتمعهم كانوا أكثر معاناة للاضطرابات النفسية والاجتماعية، ولأن معدلات الاغتراب كانت بدرجة

عالية لدى الأفراد الذين هـــم على درجة عالية من حـــرية الفكر في عدد من القضايا الأساسية في المجتمع، وانتفـــت العلاقة بين الاضطرابات الشخصية ودرجة حرية الفكر، وأن هناك كثيرين مضطربين نفسياً ولكنهم ليسوا مغتربين، والعكس كذلك، هناك من يعانون الاغتراب ولكنهم ليسوا مضطربين نفسياً. (١٣٠: ٤٥٠-٤٦٣)

أن مثل هذه النتائج تكشف عن العلاقة الإيجابية بين الاغتراب والحرمان من حرية التفكير والتعبير، بل ويؤدي ذلك إلى الاضطرابات النفسية والاجتماعية لدى هؤلاء الأفراد، الذين قد ينتهي بهم الأمر إلى العزلة والإحساس بمشاعر العجز، مما قد يضعف لديهم مشاعر الانتماء والولاء لمجتمعهم، بل وربما قد يدفعهم ذلك للهجرة من أوطانهم بحثاً عن تحقيق ذواتهم وإشباع حاجاتهم الأساسية في بلاد أخرى، وفي هذا السياق توصلت إحدى الدراسات التي استهدفت البحث في العلاقة بين الاغتراب والهجرة، إلى أن الشباب ذو المشاعر الاغترابية العالية هم أكثر تخطيطاً للهجرة خارج بلدانهم[١٣٨] بحثاً عن حياة يتوقعون أنها الأفضل لهم ويستطيعون من خلالها تحقيق ذواتهم وإشباع حاجاتهم الأساسية التي طالماً حرموا منها في بلدانهم الأصلية.

٢- ضعف كل الوعي الديني والتاريخي:

إن ضعف الوعي الديني، وتجاهل الاستفادة من خبرات الإرث التاريخي بأمجاده وانتصاراته للفخر والاعتزاز، والعظة من هزائمه وكبواته، قد يؤدي أيضاً إلى تدهور الوعي التاريخي، ناهيك عن تدني وجود القدوة الصالحة

للمحاكاة والاقتداء، وهي جميعها من العوامل الكامنة وراء أزمة الهوية، وما يتبعها من سلبيات خطيرة تنال من كل من الذات الإنسانية الفردية، والمجتمعية، وذلك عبر محاولات تزييف الوعي بأنواعه، وأيضاً التغريب، وجميعها تسهم في تعظيم مشاعر الاغتراب وتؤدي إلى أزمة الهوية.

وفي هذا السياق توصلت إحدى الدراسات إلى عدة نتائج كان من أهمها ما يلي:(١٠٠)

- "غياب الوعي الديني، والوعي التاريخي، وغياب القدوة ضاعف من مشاعر الاغتراب ، وكانوا من العوامل الباعثة على أزمة المشاركة السياسية، وأزمة الهوية السياسية، وأن تلك هي مسئولية جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية على تنوعها وخاصة المؤسسات التعليمية.
- حدوث اغتراب اجتماعي، حتى داخل الوطن، وذلك بفعل التأثير الشديد بالدول الغربية والسعي للتقليد عبر البث الإعلامي في عصر السموات المفتوحة.

وقد حصرت الدراسة أهم الأسباب والعوامل المسببة للاغتراب النفسي والاجتماعي والكامنة وراء أزمة الهوية لدى الشباب فيما يلي: (١٠٠)

- سرعة التغير والتحديث وثورة التطلعات لدى الشباب.
- التشتت والتمزق النفسي الناجم عن الصراع المفترض في أذهان البعض، بين الهوية القومية أو الوطنية وبين الحضارة الحديثة وقبول أو رفض الحضارة الغربية.

- تنازع أطر الانتماء والهوية، ما بين هوية وطنية ترتكز على الولاء والمواطنة داخل الحدود السياسية للدولة من ناحية، والهوية العربية التي ترتكز على التماثل الحضاري واللغوي والثقافي من ناحية أخرى، وكذلك الهوية الإسلامية التي ترتكز على العقيدة الإسلامية من ناحية ثالثة، والهوية العالمية التي يزداد فيها وزن المؤثرات الخارجية، ويروّج في ظلها لشعار المواطن العولمي من ناحية رابعة.

وهكذا كشفت الدراسة عن وجود اغتراب نفسي واجتماعي وغياب الوعي التاريخي، والوعي الديني ناهيك عن غياب القدوة وفي ذات السياق توصلت دراسة أخرى" كانت قد تمت على طلاب الجامعة أيضاً إلى اعتلاء الاغتراب الديني، لأنواع الاغتر ب الأخرى حيث الاغتراب الاجتماعي، والسياسي،والاقتصادي، والنفسي"[١٣] في تأكيد على أنه في ظل التحولات العالمية ومحاولة المدنّية الغربية الترويج لقيمها- وما كان ذلك ليتم إلا على حساب الوعي الديني- والذي أكدته الظواهر العالمية مؤخراً من مناصبتها العداء وخاصة للدين الإسلامي، ويكفي في ذلك موقف الفاتيكان، والرسوم المسيئة للرسول التي ظهرت بداية في الدنمارك، واتهام المجاهدين الذين يدافعون عن أرضهم ضد الاحتلال ووصفهم بالإرهاب، ومناهضة الحجاب الإسلامي والاعتداء على المساجد في الغرب، وغيرها الكثير من ذاك الاعتداء والتشويه للإسلام، والذي معه غاب تعزيز الوعي الديني بالصورة الملائمة حتى في الدول الإسلامية رغم أهميته القصوي في تعزيز التقوى وبناء الإنسان التقّي وسلامته،

وبناء المجتمع المسلم القوي وتحقيق وحدته وتماسكه وكيفية انفتاحه على الآخر في تفاعل إيجابي وبوعي حقيقي مثمر.

٣- أزمة الهوية:

تعنى أزمة الهوية "وجود تنازع نفسي داخلي لدى الموطن بين الاندفاع نحو سطح الانتماء المغروس بداخلنا، وبين ذلك الانتماء الذي يبثه النظام السياسي والمحيط الاجتماعي المحاط به الإنسان خارجياً، بمعنى أن أزمة الهوية هي نزاع بين الجذور والمعنى/ والمؤثرات الخارجية" [٢٠: ٧٨]

يرى "اريكسون" أنه يمكن تدهور الهوية في حالات الانهيار وتفشي الفساد الاجتماعي وما ينتج عنه من صراعات تنال من الهوية، ويصاب المجتمع في تماسكه، ومدى انتماء مواطنيه وولائهم له، حيث يتفشى الخوف والقلق والفزع وعدم الطمأنينة، ناهيك عن فساد الأيديولوجيات الذي يصاحبه تنوع في الأسلحة المدمرة مادياً ومعنوياً، وجميعها تعمل على اهتزاز الهوية بل ووجود الهوية الجوفاء التي لا معنى ولا جوهر لها إلا المسمى لدى افراد ذاك المجتمع. [١٥٢: ٧١]

- **ومن العوامل التي تؤدي إلى الاغتراب بصورة واضحة ومباشرة هي أزمة الهوية، حيث يصحبها العديد من المشاعر السلبية والأعراض النفسية مثل:** (الشعور باللامبالاة والسلبية إزاء بعض المواقف الاجتماعية، وأيضاً حالات التناقض النفسي والصراع الشخصي الذي يقع فيه الفرد، وكذلك خطأ الدور الاجتماعي للفرد والذي يتأرجح فيه

بين ما هو كائن، وما يجب أن يكون، ناهيك عن تلك الأزمات والمشكلات التي ينجم عنها حدوث تصدعات في الهوية الوطنية). إن مثل هذه العوامل تزداد حدة بزيادة حدة نتائج المواقف التي تنعكس على الفرد سلباً، فيشعر بافتقاد ذاته، كما يشعر بالعجز، والاغتراب النفسي والاجتماعي، وذلك لأن الهوية ذات دور فعال في تحديد مدى الانتماء، وينعكس أثرها على مدى درجة الارتباط والمساندة لما ينتمي إليه الفرد، وهذا ما ترفضه العولمة وتسعى لتبديده لتعاظم التصدعات التي تنال من الانتماء والهوية، يساندها في ذلك آليات العولمة الإعلامية والفضائيات ناهيك عن الشبكة العنكبوتية (الانترنت).

- **كذلك تؤثر الازدواجية الثقافية أثناء مراحل التنشئة الاجتماعية وخاصة في السنوات الأولى على هوية الفرد**، نتيجة لاختلاط المفاهيم والقيم والمعايير في عقول الأفراد في السن المبكرة، ولذا يجب تنشئة الفرد على أنه يجب أن يكون منتجاً لأعماله متمكناً من أدوات انتاجه وبما ينمى لديه قيم الإنتاج وحتى يصبح مقتنعاً بأن له دور في الحياة، **فلا يقف عند حد أن يكون مستهلكاً لإنتاج غيره** لأن ذلك يكسب الفرد القيم الأستهلاكية واللامبالاه والسطحية وشراهة الاستهلاك وافتقاد الثقة بالنفس، وعدم القدرة على الإنتاج وتحمل المسئولية، كما يفقده الاستقلالية، وهذه جميعها قيم سلبية تسهم في تنمية مشاعر الاغتراب الذاتي وأيضاً الاجتماعي، وكفيلة بقتل مشاعر الولاء والانتماء واهتزاز هوية الفرد.

وهكذا يتم سلب الفرد مقومات وجوده وكيانه، عبر أساليب التنشئة الخاطئة تارة، وبفعل نتائج التغيرات الاجتماعية وتدهور الأوضاع الاقتصادية وما يصاحبها من معاناة الحرمان والافتقاد لإشباع الحاجات الأساسية لدى أفراد بعض فئات المجتمع تارة أخرى.

- ويلعب التعليم الأجنبي، دوراً فاعلاً في تنمية مشاعر الاغتراب وذلك عبر تعميق مشاعر اللانتماء، واهتزاز الهوية .. وفي هذا السياق توصلت أحدى الدراسات التي طبقت على عينة من (٧٢٠) طالب وطالبة بالمرحلة الثانوية من مدارس حكومية وأخرى أجنبية، في مصر إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين الشعور بالاغتراب والانتماء للوطن، وكذلك فروق دالة بين الذكور والإناث في المدارس الأجنبية على مقياس الانتماء بأبعاده المختلفة، كما ثبت وجود فروق دالة بين الطلاب في الصفوف الدنيا، والصفوف العليا لصالح الصفوف الدنيا[٢٥] في إشارة إلى تأثير التعليم الأجنبي على مدى الانتماء لدى الطلاب، وأنه يؤثر بدرجة أكبر على الأصغر سناً، وكذلك على الذكور منه على الإناث.
- وقد يكون من عوامل الاغتراب أيضاً أحساس الفرد بالدونية وأن هناك مَنْ يمارسون الاستعلاء عليه ويشعرونه بالفوقية بل ويسعون للنيل منه بصورة أو بأخرى، ولذلك فإن من بين دواعي تجنب الاغتراب، والحفاظ على هويتنا والاعتزاز بها وبثوابتنا وتراثنا، عدم التلميح بالدونية أي كانت درجة هذا التلميح في وقت تعظيم الآخر والانبهار به، لأن ذلك من شأنه أن يزعزع مشاعر الولاء والانتماء، خاصة إذا روّجت له العديد من الوسائل الإعلامية

وكذلك التربوية، كما إنه بالتالي يؤدي لإهتزاز الهوية وتشويهها والإحساس بالاغتراب، خاصة إذا كان هذا الآخر غنياً ومتقدماً ويمتلك تقنيات تكنولوجية في كافة المجالات وعلى رأسها مجالات الاتصالات والمعلومات التي تيسر له تحقيق الاختراق الثقافي والغزو الفكري عبر السموات المفتوحة.

- **ويلعب المناخ الأسرى دوراً هاماً في إكساب المفاهيم سواء كانت إيجابية** أو سلبية، وفي هذا السياق توصلت إحدى الدراسات إلى أنه للأسرة أسهاماً واضحاً في تشكيل هوية أفرادها، وأيضاً في مدى اغترابهم، وذلك بفعل نوعية المناخ السائد بها، فكلما كان هناك اعتزاز أكثر بالهوية قلت مشاعر الاغـــتراب لدى أفرادها، وأن زيادة النزاع المفرط داخل الأسرة يزيد من مستوى الاغتراب لدى أفـــرادها، وأنه كلما كان هناك تماسك أكثر وانضباط كان هناك انخفاض في مستوى الاغتراب لدى أفرادها، أيضاً كلما زاد التوجه لتحقيق إنجازات أكبر في الأسرة قل معدل الاغتراب لدى أفرادها وأنه كلما زادت القدرة التعبيرية والتوجه الثقافي الفكري، لدى أفرادها قل معدل اغترابهم [١٤٦ ١-١٤]

كذلك توصلت إحدى الدراسات التي استهدفت البحث في اثر العولمة على الاستقرار الأسري لدى بعض الأسر الأمريكية ذات الأصول الصينية، إلى أنه كان للعولمة انعكاس سلبي على الهيكل الأسري حيث طاله الاغتراب، وظهرت أشكال أسرية وديناميات اجتماعية جديدة، وأن معظم الأسر أصبحت تتمركز حول الأب أو الام، أو أنها أصبحت أسرة ممتدة عبر الحدود، حتى وأنه تزايد عدد الأسر التي يعولها أحد الوالدين، وكنتيجة متكررة لهذه التغيرات

الهيكلية كنمط حياتي، فقــد أصبح عبور الحدود عملية ذات تكلفة اجتماعية عالية تؤدي إلى مشاعــر الاغتراب والشعور بالوحدة، ناهيك عن التفكك الأسري الذي يصل أحياناً إلـــى الطلاق، وبالتالي انحراف الأطفال الأحداث، وأنه غالباً ما يعاني أطفال الأقليات المهاجرة من سوء التنظيم الأسري والاجتماعي(١٥١: ٢١٢-٢٢٨)

وفي سياق أهمية المناخ الأسري الآمن في تجنب المشكلات بهدف بناء مفهوم ايجابي للذات، استهدفت إحدى الدراسات البحث في مشكلات الشباب ومدى ونوعية حاجاتهم في عالم متغير، ومدى تنوع المشكلات التي كانت أولاها تتمثل في(الجسدية، النفسية، الأسرية) واعتبرتها الدراسة منخفضة الحدة، أما الثانية فكانت تتمثل في (الأسرية، المدرسية، المهنية) واعتبرتها الدراسة متوسطة الحدة، وأما الثالثة فقد تمثلت في (أزمة الهوية)لدي الشباب واعتبرتها الدراسة شديدة الحدة... وانتهت الدراسة إلى عدة نتائج كان أهمها: أن الأسس النفسية لرعاية الشباب وإشباع حاجتهم تتمثل في: الثقة في النفس، والانتصار على المخاوف والأوهام، الجو النفسي الآمن في الأسرة والنشاطات الترفيهية التصعيدية، وتنمية مشاعر الاستقلال والاعتماد على النفس، أيضاً بناء مفهوم ايجابي للذات(٢٢)

وهكذا كشف هذا التحليل المدعم بنتائج العديد من الدراسات سواء العربية أو الأجنبية عن أن أزمة الهوية كأحد المظاهر الناتجة عن الاغتراب تشير إلى نوعية وملامح التغيرات المجتمعية السريعة والمتلاحقة في كافة المجالات في ظل التحولات العالمية، حيث الآثار السلبية للعولمة برأسماليتها

الشرسة التي استهدفت القيم والمفاهيم وكانت وراء حدة الاغتراب بسلبياته وكذلك العديد من المظاهر السلبية للسلوك التي تنال من الذات الإنسانية الفردية وأيضاً المجتمعية.

"وفي هذا السياق يرى البعض أن الشعور بالاغتراب وما يتبعه من انفصال عن المجتمع يمثل أهم العوامل الفاعلة في الذات التدميرية، وإنه إن كان "ماركس" قد وافق على إحداث حالة من التوافق المثالي بين المتناقضات الفردية والتغلب على مشاعر الاغتراب، فإن "فرويد" يرى أن الصراع يتسم بالاستمرارية وأن الشعور بالاغتراب إنما ذو طابع هيكلي، وإنه يندد بالطابع التدميري المفرط للرأسمالية في مجتمع ما بعد الحداثة، كمثال على الشعور بالاغتراب". (١١١: ٤-٦٣)

٤- العوامل النفسية والبيئية:

تلعب العوامل النفسية والبيئية والاجتماعية دوراً في مدى ونوعية مشاعر الاغتراب على أي من أبعاده، وهي وراء مدى اغتراب الإنسان عن ذاته أو عن مجتمعه، وتلعب دوراً كذلك في مدى التوافق النفسي للفرد أو مدى معاناته مشاعر القلق أو الإكتئاب، وربما وراء العدوانية ناهيك عن المشاعر تجاه الهوية والانتماء والولاء.

وفي هذا السياق توصلت إحدى الدراسات إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإحساس بالاغتراب وكل من العوامل النفسية والاجتماعية لدى

أفراد العينة، وكانوا من طلاب المرحلة الثانوية والتي تحددت في (مفهوم الذات، التوافق الأسري، الثقافة الأسرية، الاتجاهات الوالدية، احباطات الطفولة).[٦٤]

كذلك توصلت دراسة أخرى بحثت في علاقة الاغتراب بالتوافق النفسي، وكانت عينة الدراسة فيها من المعلمين التربويين وغير التربويين، وانتهت الدراسة إلى أن العينة ذات الاغتراب المنخفض أعلى في التوافق النفسي من تلك ذات الاغتراب المرتفع، ولم يظهر للبعد التربوي دور في أبعاد التوافق النفسي.[٩٠] ورغم اختفاء البعد التربوي في هذه العلاقة – ربما قد يرجع إلى ظروف العينة أو متغيرات تتعلق بالدراسة ومكانها وزمانها- إلا أنها قد تعكس مدى أهمية المناخ الإيجابي والظروف المحيطة بالفرد في عملية التفاعل والتوافق الذي بدوره ينعكس سلباً على الاغتراب ، فيقلل من وجوده إن لم يحول دونه.

وأكدت نفس المعنى دراسة أخرى تمت على عينة من طلاب الجامعة اليمنيين في مصر واستهدفت الكشف عن مظاهر الاغتراب والعلاقة بينه وبين متغيرات الصحة النفسية لدى العينة، والعلاقة بين الاغتراب والتدين والانتماء، وانتهت الدراسة إلى أن الطلاب منخفضي الاغتراب يتمتعون بتوافق نفسي واجتماعي ودراسي، وقوة في الأنا، وأن هناك علاقة بين الاغتراب والتدين والانتماء، وأن الأفراد مرتفعي الاغتراب كانوا أكثر أحساساً بالقلق والاكتئاب والوحدة النفسية [١٢] في تأكيد على الانعكاس السلبي للاغتراب على الذات الإنسانية وأنه ينال منها عبر مشاعر القلق والاكتئاب ومعاناة الوحدة النفسية.

وفي سياق الاهتمام بمفهوم الذات والتعامل معه بشكل إيجابي تجنباً لمشاعر الاغتراب الذي ينال من هذا المفهوم، توصلت إحدى الدراسات "إلى أنه كثيراً ما يؤدي الاغتراب عن الذات إلى مشاعر القلق، كما يعمل على تشويه وكبح الخبرات العاطفية الداخلية لدى الفرد مشوهاً بذلك الهوية الذاتية، وإنه إذا تم تنظيم مفهوم الذات بشكل خاطئ، فقد يؤدي ذلك إلى اغتراب عصابي يتسم بقلة الخبرات الداخلية، وإنه إذا كان هذا التنظيم للذات بشكل مضطرب فإن هذا الاغتراب العصابي سوف يتضح على أنه شعور بالبعد أو نقص في الوعي أو في الخبرة الداخلية"(١٤٤: ١٣٢-١٤٣)

وفي سياق ارتباط الاغتراب بالظروف البيئة فقد انتهت إحدى الدراسات- التي تمت على عينة طلاب وطالبات الجامعة في مصر من كليات مختلفة ومراحل عمريه مختلفة – إلى وجود اختلاف في حدة الاغتراب باختلاف المتغيرات، فكان طلاب الكليات النظرية أكثر اغتراباً من طلاب الكليات العملية، وطلاب السنوات الدراسية الأولى أكثر اغتراباً من طلاب السنوات النهائية، وظهر الاغتراب لدى الأصغر سناً بصورة أكبر منه لدى الأكبر سناً، ولدى الإناث بصورة أكبر منه لدى الذكور، وتمثلت مظاهر هذا الاغتراب في: (السخط، والقلق، واللامبالاة، وفقدان المعنى، ومركزية الذات، والعزلة الاجتماعية، وضعف الانتماء). كذلك كشفت الدراسة أن الجامعة ذاتها هي بمثابة مصدر أساسي للاغتراب لدى طلابها(٩) . وربما يرجع ذلك لما أنطوى عليه مجتمع الجامعة من تناقضات اجتماعية واقتصادية.

كذلك انتهت دراسة أخرى تمت في دولة عربية إلى"عدم وجود ارتباط بين أبعاد الاغتراب ودرجته الكلية في متغير العمر، وكذلك عدم وجود فروق بين طلاب التخصص الأدبي، وطلاب التخصصي العلمي على مقياس الاغتراب"[٤٨] في إشارة إلى أن الاغتراب باعتباره مفهوم ذات بعد اجتماعي وآخر نفسي قد لا يتأثر كثيراً بالتخصص الدراسي الذي هو في أغلب الأحيان يرجع إلى نوعية المناخ السائد في المدرسة أو الجامعة، حيث شخصية المعلم وكيفية أدائه ومدى ما يوفره المعلم من رموز وإشارات يبلورها أثناء تناوله للمادة الدراسية، ناهيك عن مدى توافر الامكانات المادية التي تساعد على بلورة المنهج الدراسي عبر توافر الوسائل التعليمية على تنوعها – وربما هذا ما توفره البيئة المدرسية في المجتمع السعودي حيث كانت عينة الدراسة- أيضاً ربما قد لا يتأثر الاغتراب بالعمر الزمني أحياناً، ويختلف ذلك من بيئة لأخرى حيث مدى توافر الخبرات الشخصية للفرد التي تساعده على النضج النفسي والاجتماعي بصرف النظر عن العمر، وأيضاً مدى توافر الظروف الاقتصادية الجيدة، ونوعية العلاقات الاجتماعية السائدة في المناخ المحيط بالفرد، وانعكاس ذلك على مدى إشباعه لحاجاته الأساسية، فربما مع هذا الإشباع يضعف أو يختفي أثر متغير العمر في علاقته بالاغتراب.

ويلعب الإعلام دوراً هاماً في مدى الاغتراب لدى الأفراد، خاصة التلفاز ببرامجه المتعددة والمتنوعة والتي هي في الغالب معولمة وتعمل لصالح العولمة، وقلما ارتكزت على قيم ومفاهيم ايجابية عملت على بلورتها وإنما هي غالباً تنشر القيم الاستهلاكية والسلبية أكثر من تلك الايجابية المثمرة، وبالتأكيد

لهذا انعكاسة على نمو مفهوم الذات ومدى الولاء والاعتزاز بالهوية لدى الأفراد، وفي هذا السياق استهدفت احدى الدراسات، البحث في العلاقة بين مستوى الاغتراب الثقافي لدى طلاب الجامعة في مصر وبين حجم التعرض للمواد التلفزيونية الأجنبية، وانتهت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية ايجابية بين حجم التعرض للمواد التلفزيونية الأجنبية ومستوى الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي المصري ، وأن هذه العلاقة تزداد شدتها في وجود كل من:

- مستوى مرتفع من المشاهدة النشطة.
- مستوى مرتفع من أدراك واقعية المضمون الأجنبي.
- مستوى مرتفع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.(١٠٢)

وهكذا يلعب التلفاز ببرامجه دوراً في تحقيق الاغتراب الثقافي لدى مشاهديه، ولهذا الاغتراب تأثيره السلبي على مشاعر الذات، فقد يشعر معه الفرد بالدونية الذاتية أو المجتمعيةَ أو كلاهما معاً، وأيضاً قد يشعر بضعف أن لم يكن انتفاء مشاعر الولاء والانتماء والاعتزاز بالهوية.

وفي سياق علاقة الاغتراب بالإبداع "يلاحظ أن نقاد الأدب والفن يستخدمون كلمة اغتراب للتعبير عما يستشعره الإنسان الحديث من غربة كونية، وما يحسه من زيف الحياة وعمقها، وما يلحظه على علاقات الأفراد بعضهم ببعض من سطحية واستغلال ولا إنسانية إلى آخر هذه المظاهر من الفساد والتفسخ الاجتماعي التي تستشري في عالمنا الحديث بصورة تكاد تهدد وجود الإنسان وصحته النفسية."(٩١: ٧)

وفى ضوء نتائج إحدى الدراسات[٧٤] يؤكد الباحث أن العلاقة بين الإبداع والاغتراب النفسي هي علاقة ضعيفة جدا، وفسرها الباحث في ضوء أن قهر المبدع لإحساسه بالاغتراب وعودته إلى ذاته وإحساسه بنفسه كهوية فريدة في نوعها لا تتكرر، ووعيه بحركة التفاعل بينه وبين الواقع وركونه إلى العزله واعيا ومختارا لا ليلتصق بذاته على حساب الواقع الخارجي إنما ليرتد إليه من جديد مقدما إبداعاته الخلاّقة التفسيرية، رهين بموقف الإنتاج الإبداعى الذي يجسد الأداء التعبيري لقدراته ودوافعه وسماته وصروحه، أى أن هناك حركه واعية بين الذهاب والمجيء بين الذات والواقع، وبين الداخل والخارج لا يشعر بها إلا المبدع نفسه في الموقف الإبداعي، وهذه الحركة يصعب قياسها باختبارات الإبداع لأنها قائمه في وعى المبدع ومتأصلة بتفاعله العميق مع واقعة، ذلك ان الواقع الاجتماعي أيا كانت ظروفه يفرز الأفكار والإبداعات الخلاّقة التى هي نبت اجتماعي يصوغه ويحدد معالمه تفاعل المبدع مع واقعه وحضوره فى مواجهه ما هو كائن لبلوغ ما ينبغى أن يكون، ولهذا كانت روائع "دستويفسكى"،"تولستوى" وواقعية "جوركى" وحكمة وشاعريه "المتنبيء" وأصالة "مايكل انجلو" وتفرد" دافنشى "وآصالة ومصرية "محمود مختار"[٧٢: ١٥٨-١٥٩].

وفى سياق علاقة الاغتراب ببعض المتغيرات العقلية وغير العقلية استهدفت إحدى الدراسات البحث في علاقة الشعور بالاغتراب وبعض المتغيرات العقليه مثل: (الذكاء، القدرة على التفكير الابتكارى، الشعور بالاغتراب) وكذلك المتغيرات غير العقلية مثل: (وجهة التحكم ، المسئولية

الاجتماعية، القيم) وطبقت الدراسة على عينه من طلاب وطالبات الجامعة في مصر وانتهت الى عدة نتائج كان أهمها:

- وجود ارتباط دال بين الاغتراب بأبعاده (العزله، العجز، التمرد، اللامعياريه، اللامعنى)، والذكاء والقدرة على التفكير الابتكارى مثل: الطلاقه، والأصالة ، المرونة التلقائية.
- وجود ارتباط دال بين الاغتراب، وكل من: وجهة التحكم ، المسئولية الاجتماعية، القيم بأنواعها السياسية والاجتماعية والدينية والنظرية.
- لا توجد دلاله تظهر تأثير التفاعل بين الذكاء والمتغيرات غير العقلية على درجة الاغتراب
- لا توجد دلاله تظهر تأثير التفاعل بين القدرة على التفكير الابتكارى والمتغيرات غير العقلية على درجة الاغتراب[٥١].

وفى سياق دراسة الفنون وعلاقتها بالهوية، والقلق، توصلت أحدى الدراسات التى استهدفت البحث فيما إذا كان للفنون أثر في خفض مستوى القلق ودرجة تحديد الهوية لدى طلاب الجامعة في مصر من دارسي الفنون، والأدب، والعلوم، توصلت الدراسة إلى وجود ارتباط بين مستويات القلق ودرجة تحديد الهوية بين دارسي الفنون ودراسي التخصصات الأخرى، وأيضا وجود علاقة ارتباطيه بين مستويات القلق والدرجة الكلية للهويه لديهم[١٠٧: ١٥٧-١٦٠].

وهكذا تعددت العوامل والأسباب الكامنة وراء الاغتراب ، وتنوعت ما بين التالي:

- **عوامل مجتمعيه**، شملت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومدى انعكاس التطور التكنولوجي عليها، خاصة في مجال المعلومات والفضائيات وأكثر خصوصية على القيم التقليدية ، وشملت كذلك عوامل **تتعلق بمرحلة الشباب** خاصة، باعتبارها أهم مراحل الحياة في البناء الذاتي والمجتمعي، حيث تبين تجاهل الشباب وعدم اشراكهم حتى في الأمور التى تمس حياتهم حاضراً ومستقبلاً، إضافة إلى عدم حسن استثمار وقت فراغهم بصوره ايجابية بما يفيدهم ويفيد مجتمعهم، ومن العوامل أيضا، **العوامل الأسرية**، حيث انعكاس المناخ الأسرى على نوعية الحياة الاجتماعية لأفراد الأسرة ومدى إسهامه في حسن تنشئة الأبناء على القيم والمفاهيم الايجابية، ومن العوامل كذلك **السلطة السياسية** وخاصة تلك الدكتاتورية التى لها تأثيرها السلبي على حرية الفكر، وما تسببه لأفراد مجتمعها من كبت وتكميم الأفواه الذي يؤدي بدوره إلى الاغتراب بأبعاده ويحول دون تحقيق الذات.
- **ضعف الوعي الديني، والوعي التاريخي لدى الجماهير وغياب القدوة**، وأنه فى غياب ترجمة هذه المفاهيم سلوكاً واقعياً عبر المؤسسات المجتمعية وخاصة التربوية والاجتماعية والإعلامية في ظل هذه العولمة الشرسة، يتفشى الاغتراب بأبعاده لدى أبناء الوطن، وينعكس سلبياً على مدى الولاء والانتماء، ناهيك عن تدني مشاعر الاعتزاز بالهوية حيث الترويج للهويه العالمية والإنسان والمعولم بعد انتفاء اعتراف العولمة بالدولة القومية والسعي لإفقادها سيطرتها على نشاطها الاقتصادي.

- **تعتبر أزمة الهوية من العوامل الرئيسية وراء مشاعر الاغتراب بأبعاده، كما لعبت الازدواجية الثقافية، والتعليم المزدوج – حيث للتعليم الأجنبي –** دورا في حدوث أزمة الهوية وخاصة لدى الأجيال التى في سن مبكرة، لأنه يسلب الفرد مقومات وجوده وكيانه عبر أساليب التنشئة المقصودة في هذا التعليم الأجنبى فى المراحل التعليمية الأولى، وما قد يسفر عنه من مشاعر الاستعلاء والفوقية لدى البعض من أصحاب أنواع التعليم الأجنبي، مما قد تسبب في تفسخ المجتمع وتفكك الكيان المجتمعي إذا استشرت هذه الظاهرة.
- **العوامل النفسية والبيئية** والتي لها انعكاساتها على مدى التوافق النفسي للفرد أو معاناته من مشاعر القلق والإكتئاب وربما العدوانية، وذلك بفعل الاغتراب الذاتي أو الاجتماعي خاصة وأنه أثبتت الدراسات وجود علاقة ارتباطيه بين انخفاض حدة الاغتراب والتوافق النفسي.
- **أيضا يلعب الإعلام دوراً في تحقيق الاغتراب الثقافي**، وخاصة التلفاز، حيث يحقق – بدرجة أو بأخرى – لدى مشاهدي التلفاز هذا الاغتراب الذي بدوره ينال من الذات الإنسانية الفردية وأيضا المجتمعية، ويعمق مشاعر الاغتراب على حساب الولاء والانتماء والاعتزاز بالهوية.

كذلك **تؤثر المؤسسات التعليمية بمناخها السلبي في مدى حدة الاغتراب** في علاقته بالتوافق النفسي، كما يلعب الاغتراب دورا في التأثير على المتغيرات العقلية من: (ذكاء، وقدره على التفكير الابتكاري) أيضا هناك ارتباط بين الاغتراب والقدرات غير العقلية مثل:(وجهة التحكم والمسؤولية الاجتماعية، والقيم...) وتبين أنه لا علاقه قويه بين الاغتراب والتفكير الابتكاري، وإنما

إبداع المبدع ليس نتيجة اغترابه، بل نتيجة ركونه إلى العزلة مختاراً واعياً ليرتد من جديد إلى الواقع مقدماً إبداعاته الخلاّقة، وما أدائه الإبداعي إلا تجسيداً للأداء التعبيري لقدراته ودوافعه وسمات شخصيته، وكذلك تأكد دور هذه العوامل على تنوعها في وجود الاغتراب وأبعاده، فقد ثبت وجود علاقة ارتباطيه بين العوامل النفسية والهوية والاغتراب، وكذلك وجود ارتباط بين مستويات القلق ودرجة تحديد الهوية، بل والدرجة الكلية للهويه.

وهكذا ينال الاغتراب من الذات بفعل تلك العوامل المجتمعية والبيئية والنفسية، وان كان بدرجات متفاوتة، وتساهم تلك العوامل في تنمية مشاعر الاغتراب بأبعاده مسببه القلق والتوتر، والعزلة، واللاانتماء، وقد يصاحب ذلك كله العديد من المشكلات التي تنال من الفرد والمجتمع مسببة اهتزاز فى الهوية، ووجود الهوية الجوفاء على طريق الإحساس بمشاعر العجز ،والعزلة وانعدام الهدف وغربة الذات وسط إحساس باللامعنى ، واللامعياريه.